الشخصية

بين العالم الحقيقي
والعالم الإفتراضي

عدي عدنان البلداوي

الكتاب: الشخصية بين العالم الحقيقي والعالم الافتراضي
الكاتب: عدي عدنان البلداوي
الطبعة : الاولى
سنة الطبع : ٢٠٢٠م
المطبعة: مؤسسة البلداوي للطباعة
حقوق الطبع محفوظة

مقدمة

تتيح شبـــكات التواصل الإجتماعي مجالاً واســـعاً لتبادل المعلومات وطرح الأفكار واســتطلاع الآراء ، وهو عمل إيجابـــي عندما يقـــترن بـــجودةٍ في المضمون ودقـــــــةٍ وامانةٍ في عرض المعلومات ، وحـيث ان انشـاء صفحـة على الفيسبـــوك مثلاً لا يتطلب مهارة أو خبرة ، فإن الحيطة والحذر يدقان الناقوس تحذيراً من مغبة اقحام الدماغ بـمعلومات قد تكون خاطئة فتبني عليها افكار مغلوطة ، والتي تعني فيما بـعد تصرفات مغلوطة ، وقـــد ســـجّلت المشاهدات العديدة لصفحات التواصل الإجتماعي كيف اســـــتطاع ضعاف النفوس النفوذ الى نفوس طيبـة ليس لديها رصيد كافٍ من الخبـرة ، أو قـــد تكون عديمة الخبرة ، حسبها أنّها اسـتخدمت هذه التقـنية بـفطرة سـليمة، شـعرتْ معها بـــأنّ هذه

التقـنية تمنحـــها جواً من الزهو في عالم افتراضي يحمل عناوين التطور والحداثة والثقاقة احـياناً كما تبدو للبعض ..

رافق سوء اسـتخدام شبـكات التواصل الإجتماعي مشاكل جمّة هدّدت كيان الأسـرة الواحـدة ، وكما اشـارت بـعض الدراسـات الى ان اســتخدام العالم الإفتراضي دون تحـــوّطات ، كان وراء العديد من مشاكل الشباب ..

ان عملية الإسـتغراق سـاعات طويلة أمام الشاشـة لدى كثيرين ربّما تأتي من حالة الشدّ القـوي الذي توفره أبـعاد العالم الإفتراضي وتقـنيات التحـكم ومؤثرات الألوان والأصوات وأزرار الحاســـوب أو لمسـات المفاتيح على الموبـايل ، ويضيف بـعض الدارســين عاملاً نفســياً الى العوامل التقـــنية ، خصوصاً وان تفاعلاً حـــيّاً في طرف ما لما نعرفه أو

ننشره ، فما بين ترقب التعليقات وتوقـع مضامينها ووجود الضوء الأخضر الذي يحيط المستخدم علماً بـأن (فلان متصل) ، هذه الإثارة والتحـفيز تسـهم بشكل جيد في إثراء المعرفة الشخصية واكتسـاب المعلومات بشـــرط وجود مادة حقيقـــية هادفة للتواصل، لكنّ الملاحـــظ على صفحـــات التواصل لكثير من الشبـاب انهم يمضون أوقـــاتاً غير هادفة في اغلب الأحـــــــيان ، إلا انها ممتعة كما يصفها بعضهم..

تأثير العالم الإفتراضي في العلاقات الإجتماعية..

قبل ظهور العالم الإفتراضي كنّا نمتلك علاقات مع أصدقاء يربطنا بهم تواصل اجتماعي يستمر بوفرة الوسائل التي تحقق ذلك التواصل ، وما بين مشاغل وهموم وظروف الحياة قد تتذبذب فاعلية وحيوية التواصل في العالم الحقيقي ، وهو ما عوضته شبكات التواصل الإجتماعي كالفيسبوك بإتاحتها سهولة استمرار تلك العلاقات عن طريق الدخول الى الشبكة ، كما تعطي المجال لعلاقات أوسع من حدود البيئة المكانية أو فرص اللقاء والمصادفات .. المهم هنا هو اننا سابقاً كُنّا نصنع صداقاتنا على وفق قيم ووصايا وتجارب لا تتجاوز البيئة التي نعيشها والموروث الأدبي والأخلاقي والديني ، أما عبر شبكات التواصل الإجتماعي فإن بيئات عدّة

يمكنها ان تشـــترك عبـــر الشبـــكة في تواصل الأشـــخاص المتشابـــهين أو المختلفين زمانياً ومكانياً.

الهوية المزيفة..

الهوية (عملية تمييز الفرد لنفســه عن غيره ، أي تحديد حالته الشخصية ، ومن السـمات التي تميز الأفراد عن بعضهم الإسم والجنسية والسن والحالة العائلية والمهنة الخ ..) (١)

ان الحـــــــرص على الظهور المتواصل في العالم الإفتراضي بقدر يفوقـه في الواقـع الإجتماعي قـد يفصح بشـكل أو بـآخر عن وجود ضعف معنوي أو حـالة مرضية معينة تمسّ الشـخص في جانبـه النفسي أو شعور بـالرضا عن الأداء العابـر للأتكيت

١- كتاب (مفاهيم في الفلسفة والاجتماع) - احمد خورشيد الدوره جي - ص٢٤٧ - ط١ - بغداد ١٩٩٠

الإجتماعي وما يترتب عليه من احـراج أو خجل أو ما شابـــــه .. إن مخاوف ذلك الإنغماس في العالم الإفتراضي تكمن في اتاحـــة الحـــصول على هوية مزيفة مختلفة ، أو هي لا تطابـق الهوية الحقيقـية تماماً ، بـــمعنى اضافة رتوش واكسســـوارات على الهوية الحقيقية لتبدو كاريزما بالنسبـة للأصدقـاء على الفيسبـــوك ومواقـــع التواصل والشبـــكات الإجتماعية ، خصوصاً عندما يتاح للشـــخص ان ينشـيء صفحـة لا تحـمل معلومات صحيحـة عن هويته الحقيقية ..

هوية الفرد يعينها (نظـام متكامـل مـن مجموعـة الخصائص الجســـــــمية والوجدانية والنزوعية والإدراكية ، وتميزه عن غيـره مـن الأفـراد تمييـزاً بـيّناً، وكما تبـدو للناس اثناء التعامل اليومي الذي تقتضيه الحـياة الإجتماعية ، فهي تدل على طبـاع

الشـخص ومزاجه الخلقـــي كما تدل على وحـــدة الذات وثباتها ..) (١)

احدى مستخدمات الفيسبوك كانت تعرض نشاطها العائلي يومياً وبالتفصيل على صفحتها ، من قبـيل اطباق الطعام التي تعدّها لزوجها واطفالها ، دون ان يؤثر ذلك في عملها كموظفة ، وتلتقـــــــط صوراً لأطفالها وهم على قدر من النظافة والأناقة محـاولة اعطاء تصوّر لمتابعيها عن شخصيتها لتبـدو موضع اعجاب كثيرات من صديقـاتها ومتابـــعيها واللاتي كنّ كثيراً ما يسـألنها عن قـــدرتها على التحـــكم بالوقـت بحـيث تبـدو ناجحـة بـهذا الشـكل الذي تنشره على صفحتها ، اتضح ان هذه السـيدة تعاني مشاكل مع زوجها بسبب وظيفتها التي تأخذ منها وقتاً على حسـاب احـتياج البـيت لها ، وكانت تجد

١- كتاب (مفاهيم في الفلسفة والاجتماع) - احمد خورشيد الدوره جي - ص١٥٥ - ط١ - بغداد ١٩٩٠

في الفيسبوك مهرباً من تلك الضغوط التي تعيشها بشكل يومي ومستمر منذ سنوات كما يبدو ، فكانت تشعر بمعنويات عالية لتزايد (لايكات الإعجاب) والمديح والإطراء عبر (التعليقات) التي تأتيها يومياً إثر صور اطباق الطعام اللذيذ التي كانت تنشرها وتقول انها تعدّها في البيت ، بينما كشفت المصادفة انها لم تكن تقوم بكل ذلك .. الأمر المخيف هنا هو امتلاك البعض هويات مزيفة في العالم الإفتراضي وهو ما قد ينعكس سلباً على حقيقة شخصياتهم في الواقع اذ تنعدم أو ينخفض منسوب المصداقية مع النفس ومع الآخرين ..

الأمر الآخر الذي يدعو الى القلق هو ان تصبح تلك الذات المزيفة في العالم الإفتراضي هي هدف الذات في العالم الحقيقي، يقول (مورفي) عن الذات انها (مجموعة الآراء التي يحملها الشخص

نفسه)، ويعرفها الدكتور فاخر عاقل بأنها (الفرد متمثلاً في وعيه لأناه أي لذاته)، ويراها (الفريد ادلر) (نظام داخلي ذو صفة شخصية تعطي للشخص الذي يكتنفها طابعاً حياتياً مميزاً) (١) ويشبّه الفيلسوف الفرنسي (لوسين) العلاقة بين الطباع والشخصية والذات بآلة كاتبة أو آلة موسيقية ، حيث يُشبّه طباع الشخص بالآلة نفسها، ويُشبّه الشخصية بالرسالة المكتوبة أو اللحن ، ويُشبّه الذات بالعامل على الآلة الكاتبة أو العازف على الآلة الموسيقية (٢)

كشفت احدى الدراسات ان الأشخاص الذين يمتلكون رصيداً كافياً من احترام الذات يقضون

١- كتاب (مفاهيم في الفلسفة والاجتماع) - احمد خورشيد الدوره جي - ص١٣٧ - ط١ - بغداد ١٩٩٠

٢- كتاب (علم الطباع - المدرسة الفرنسية) - د. سامي الدروبي - دار المعارف - مصر ١٩٦١م

وقتاً أقل من الوقت الذي يقضيه اولئك الذين يشعرون بنسب متدنية من احترام الذات ، بالإضافة الى ان اصحاب المستويات العالية من احترام الذات يعرفون كيف يستخدمون وسائل التواصل عبر العالم الإفتراضي ، ولا يسمحون بصداقات لا تحمل هوية حقيقية أو في الأقل هوية واضحة ، فهم لا يوافقون على طلبات الصداقة التي يرسلها أشخاص بأسماء مستعارة وصور رمزية، بينما لا يعطي اصحاب المستوى المتدني من احترام الذات أو اصحاب الوعي المتدني اهمية لذلك..

الجوانب الإيجابية

يميل كثير من مستخدمي الفيسبوك الى اظهار جوانب إيجابية في شخصياتهم ، سواء كانت كذلك

في الواقـع أو هي امنيات ، أو مداراة لواقــع فرضته الظروف عليهم وهم غير راغبــين بـه وغير قـادرين على مداواته فيجدون في مواقع التواصل ما يخفّف عنهم ، وعلى حدّ قول احـد الشبـاب انه يهرب من واقعه الذي لا يسمح له ببناء ذاته بالشكل والآليات التي يجدها في اجواء العالم الإفتراضي ، لأن الواقع قائم على اتصال مباشـر مع المجتمع وهذا التعامل المباشـر يسـتلزم إظهار حقيقـة الذات ، بـــينما لا يشترط العالم الإفتراضي ذلك ، فبمقدور الشـخص ان يظهر على صفحـــــــات التواصل الإجتماعي بالشكل الذي يريد للآخرين ان يروه به ، بـينما في الواقع هناك التجربـة والإختلاط والتعامل والتماس المباشـر ، كلها تدخل في صناعة وصياغة معالم ما يظهره الشخص عن نفسـه ولكن على وفق ما يرونه منه في تصرفاته وردود افعاله ..

الصديق الإفتراضي

ان اطلاق كلمة (صديق) على كل من نتعرف اليه في العالم الإفتراضي بدون ضوابط لها صلة بالواقع، قد ينعكس سلباً على عمق مفهوم الصداقة في العالم الحقيقي ، والذي لا يمكن الحكم عليه من خلال معلومات وبيانات ومجموعة صور منشورة في الفيسبوك ، فالصداقة تنتج عن أحد ثلاثة أمور أشار اليها الإمام علي عليه السلام حين ذكر احدهم صديقاً له في مجلس الإمام مبالغاً في الثناء عليه ، فسأله الإمام: هل سافرت معه ؟ قال: لا ..

هل عملت معه ؟ قال: لا ..

هل اثرت غضبه؟ قال:لا ، عندها قال له الإمام : انت لا تعرفه ..

بشكل أو بآخر فإن السهولة والمتعة والتشويق التي يوفرها العالم الإفتراضي في صناعة الصداقات قد

تنسحب على الواقع فتجعل الناس يميلون الى الصداقات الزمنية الممصلحة ـ اي تلك التي تنتهي بانقضاء المصلحة ، وهي بذلك تجرّ عالمنا الحقيقيي الى المادية البحتة ، بحيث تصبح المشاعر والإنسانية حالات عاطفية وقتية يتباين التفاعل معها حسب الظرف والحالة التي يمرّ بها الشخص.

الحسد والبغض في العالم الإفتراضي

قديماً كان الناس يحرصون على ان لا يُظهروا خصوصياتهم للآخرين حتى المقربين منهم، خشية الحسد أو الإستغلال أو اعتزازاً بالذات وخصوصياتها التي لا ينبغي ان تكون من ضمن مشتركات العلاقات الإجتماعية مع الآخرين ، بينما يجد البعض العالم الإفتراضي وسيلة جذابة

لعرض الخصوصيات ومنها العائلية البحـــتة ، وعلى الرغم من انه يدري ان ذلك يجلب له الحسد وربـما البغض وقد يجلب له المشـاكل ايضاً ، إلا انه يُقـدم على مثل ذلك ، سجّلت احدى الدراسات ان حوالي ٢٠٪ من حـــالات الحســـد والغيرة نتجت عبـــر صفحات الفيسبوك .. كما شهدت كثير من مجالس الفصل العشائري في مجتمعنا على كثرة المشاكل الإجتماعية التي سبّبها اسـتغراق تواجد الناس في العالم الإفتراضي واسـتخدام التقـــنيات الرقـــمية واجهزة الإتصالات الحـــــــديثة .. يضاف الى ذلك محـاضر التحقـــيق التي دوّنت كثيراً من حـــالات الطلاق ومشاكل التحـرّش أو التجاوز أو الإعتداء أو التشهير وغيرها بسبب سوء استخدام ادوات العالم الإفتراضي ..

كان السعي وراء تحقـيق الإنجازات الجيدة والعمل

الإيجابي مبرراً للشهرة بين الناس واستحصال الإعجابات والإشادة ، فكانت الإنجازات العملية تسهم كثيراً في رسم ملامح الشخصية ونجاح الذات ، أما في العالم الإفتراضي حيث لا يشترط مثل هذه الإنجازات والأعمال الرائعة كمعيار للشهرة والنجاح عندما اصبح عدد الأصدقاء بالمئات وربما بالالوف ، والإعجابات والمشاركات واللايكات الكثيرة مبرراً للشهرة حتى دون النظر أحياناً الى توافر القيمة والمصداقية في الفديو أو المنشور ، المهم انه حظي بعدد كبير من الإعجابات لشخص حدّث صورته الشخصية على صفحته الخاصة في الفيسبوك ..

العلاقات الإجتماعية بين المباشر واللامباشر

يفضّل بعض الأشخاص أجواء التواصل غير المباشر على التواصل المباشر في علاقاتهم بالآخرين ، لما يتطلّبه اللقاء المباشر من إستعداد ذهني ونفسي وتحكّم بحركة اليدين ونظرات العينين وحركات الوجه التي قد تبعث ببرقيات الى الطرف المقابل يستشفّ منها نوع الحوار والعبارات المستخدمة وطبيعة شخصية المتحدث ودرجة تمكنه أو ضعفه ومدى وضوح التعبير وسلامة الفكرة ولغة الكلام والمصداقية ، بينما التواصل غير المباشر لا يضطر الشخص الى كل هذه الإعتبارات ..

يعرّف علم النفس الشخصية بأنها (كناية عن مجموع خصائص المرء ، الجسمية منها والعاطفية والنزوعية والعقلية ، التي تمثل حياة صاحبها

وتعكس نمط سلوكه المتكيف مع البيئة . فهي لفظة يجري استخدامها على عدة معانٍ ، شعبية وسيكولوجية . أما معناها الأشمل فهو التنظيم المتسق والدينامي لصفات الفرد الجسمية والعقلية والأخلاقية والإجتماعية ، حسب تجليها للآخرين في مجال الأخذ والعطاء داخل الحياة الإجتماعية)(١)

ويعرّفها علم الإجتماع على وفق الدكتور علي الوردي (الشخصية بمعناها العلمي عبارة عن تركيب نفسي يتألف من صفات مختلفة ، وهو يميل نحو الإنسجام والتوافق مع الثقافة الإجتماعية السائدة . فكل انسان يملك شخصية خاصة به تميّزه عن غيره من الناس ، والناس يختلفون في نمط شخصياتهم تبعاً لتفاوت

١- موسوعة علم النفس - ص ٨٢ - اعداد د. اسعد رؤوف ط١ - مطابع الشروق - بيروت - ١٩٧٧

مقـــدرتهم على التجاوب مع الثقـــافة الإجتماعية الســـائدة . فمنهم من ينجح ومنهم من يفشـــل ، واكثر الناس في الواقع هم ناجحـون وفاشـلون في آن واحـــد . واختلافهم ينشـــأ عن نسبـــة النجاح والفشل في تكوين شخصياتهم ..) (١).

أبـدى بـعض مسـتخدمي الفيسبـوك من الشبـاب حالة من الإرتبـاك وعدم الإستقـرار اثناء التحـدث اليهم وجهاً لوجه .فكانوا يرســـــــلون عيونهم الى شاشات موبايلاتهم محركين اصابعهم واجسـامهم حـــركات غير منتظمة كلما توجهت الأنظار اليهم خلال الحديث ..

ان عدم التدرب على الإختلاط ومحـــادثة الآخرين محادثة مباشرة بطرق تواصل حقيقية تتدخل فيها حركات الجسـم والوجه ونبـرات الصوت ، قـد تؤثر

١- كتاب (دراسة في طبيعة المجتمع العراقي) - ص١٩٠
د. علي الوردي - مطبعة العاني - بغداد - ١٩٦٥

مستقبـــلاً في إعداد شـــخصية متوازنة ،كما انها ستنتج بمرور الوقت شـخصاً لا يتوافر على الخبـرة والمهارة واللياقـة ، وهو ما قـد يجعل حـــياته اكثر صعوبـــة عندما يجد نفســـه في موقـــع العمل والمسؤولية البيتية والوظيفية ، ربّما يمكننا القـول ان العالم الإفتراضي يصنع واجهة شـــكلية لحـــياة مســـتخدميه ، بـــعيدة أو قريبـــة في مضامينها وتفاصيلها مع ما تتطلبه الحياة في الواقع ..

ان التفاعل الطبـــيعي الواقـــعي ميزة في البشـــر يمتلكها حـتى الأطفال الرضع ، فقـــد لوحـــظ ان الرضيع يبكي اذا سمع طفلاً آخر يبـكي ، فالصوت يســهم في إدراك وحـس الناس مع بـعضهم ، ولأن التواصل المباشر هو عصب حيوي في حـياة الناس يعطيهم الشعور بالوجود المتحرك في الحـياة ، أي يعطيهم شعوراً عالي الجودة بالذات كان بعض الآباء

حين يُريد معاقبة أحد ابنائه على خطأ ارتكبه ، يأمره بلزوم غرفته أو لزوم البيت وعدم السماح له برؤية اصدقائه أو التحدث اليهم واللعب معهم ..

بين الإنفصال في العالم الحقيقي والتواصل في العالم الإفتراضي

بعض الأشخاص ممن تمكّن العالم الإفتراضي من واقعهم وهيمن على جزء كبير من أوقاتهم ، لا يميلون الى استبدال الحرية الشخصية بحرية مسؤولة . نسبة كبيرة منهم لا يستغرق عمر زواجهم مثلاً سوى بضعة أشهر وينتهي بالطلاق بذريعة صعوبة الإنسجام والتفاهم مع الشريك . إذا ما قارنّا طريقة التعارف قبل الزواج قديماً سنجدها تختلف كثيراً عمّا يسمح به الواقع اليوم من مرونة اجتماعية، ومع ذلك فإن الأجيال السابقة كانت

تعيش حالة المسؤولية مع بعضها ومع المجتمع ، خصوصاً إذا بلغت المشاكل حداً لا مجال معه سوى قطع العلاقات الإجتماعية أو الطلاق بين الزوجين، فإن اعتبارات كثيرة تتدخل لإعاقة تحقيق ذلك الإنفصال من قبل الزوجين ومن قبل الأطراف المتدخلة لحل المشاكل ، أمّا جيل اليوم ففي حالات كثيرة لا يكترث احد الطرفين أو كليهما لعواقب الإنفصال، وقد سجّلت الشواهد حالات طلاق لزيجات لم يدم عمرها سوى أشهر أو سنوات معدودة ما اسفر عن أعداد كبيرة من الشباب والشابّات يعيشون تجارب زوجية فاشلة ..

هناك مشاكل ما بعد انفصال الزوجين تحدث مع الذين انفصلوا عن بعضهم في الواقع ولم ينهوا صداقتهم على الفيسبوك مثلاً ..

في دراسة لتأثير ذلك على الشخصية خلُصت الى

ان ابقـــاء الإتصال مع الطليق على الفيسبـــوك ، أو غيره من وسـائل التواصل الإجتماعي ، يعيق إعادة بناء النفس ونسيان تلك المرحلة السابقة بنتائجها ، أياً كانت جيدة أم ســـــــيئة ، المهم انها أدّت الى الإنفصال ، وقد سجّلت حـالات قـليلة من هؤلاء ان ميولاً انتجها التواصل مع الزوج السابـــق أو الزوجة السابقة على الفيسبـوك نتج عنه علاقـات جنســية خارج إطار الشـــــــرعية ، وهو ما يفضي الى تدنّي مســـتوى النفس ونزولها عند الحـــاجة البشـــرية الجسدية المادية الخالية من السمو الروحي والرقي بـالنفس الى اعادة بـــناء ذات جديدة قـــادرة على المضي قُدماً واســـــتئناف الحـــياة على الرغم من التجربة الفاشلة التي مرّت بها ، في الواقـع فإن علم النفس يقتضي تحقق عدم اللقاء مع الشخص الذي كان سبباً في تعاسـة أو أذى أو ضرر شـخص آخر ،

اذا أمكن في الواقع تلافي ملاقاة الشخص الآخر ، فإن العالم الإفتراضي لا يقيد ذلك ، لأنه لا يشترط المكان ولا الزمان ولا الهوية لتحديد اللقاء من عدمه . احدى المطلقات كانت تدخل خلسة الى صفحة طليقها على الفيسبوك لتتابع مستجدات وضعه الإجتماعي ، وكانت متوترة ، قلقة ، لم تنجح في إقامة علاقة زوجية جديدة على أسس سليمة من العافية النفسية ، كانت تعيش صراع الرغبة في سرعة الإرتباط بشخص آخر تداوي بقربه جراحها التي خلّفها فيها الزواج السابق ـ ومع هذه الرغبة السريعة - تتردد كثيراً ، خوفاً من تكرار الخطأ الأول ، والخوف الأكبر من تكرار الطلاق ، الذي لا شكّ سيؤثر في شخصيتها وعلى سمعتها في المجتمع وهو ما سيترك أثره أو آثاره السلبية على نفسيتها ..

هل تسهم العاب الفديو في تنمية الشخصية ..؟

علينا ان نعيش أوقات الإتصال والتواصل في العالم الإفتراضي بما يدعم حياتنا في الواقع ، لا ان نهرب من واقعنا بالإفراط في استعمال الشاشات والإنترنت والبقاء أحياناً الى ساعات متأخرة من الليل في لعبة من العاب الفديو المثيرة الجذّابة التي لا تخدم واقعنا والنهوض به ،ولا تدعم بناء شخصيات ابنائنا ، وقد رأينا ما فعلته لعبة (البوبجي) مثلاً في حياة كثيرين من اهمال للواجبات المدرسية والإلتزامات البيتية ، ومن ضياع للوقت، ومحاولات التشبّه بالدمى في اللعبة ، ومن مشاكل تمتد مساحاتها الى خارج البيت ..

يقول الدكتور علي الوردي في كتابه (دراسة في طبيعة المجتمع العراقي) (ان العوامل الإجتماعية والنفسية التي تؤثر في الإنسان منذ ولادته هي التي تجعل شخصيته على النمط الذي نلاحظه فيه عند كبره في الغالب . فنحن حين نرى انساناً ذا صفات سيئة لا يجوز ان نضع كل اللوم عليه في ذلك. فهو صنيعة ظروفه وعوامله النفسية والإجتماعية ولو كنا في مثل ظروفه لاتصفنا بمثل صفاته على اكثر الإحتمال ..) (١)

انه امرٌّ من الخطورة حين يهيمن على الشخص نمط الشخصية المستهلكة غير المنتجة ، وانها نسخة ثانوية لتلك التي تصممها شركات الإنترنت والعاب الفديو ..

في خبر مصوّر ، بثته وسائل إعلام وقنوات إخبارية

١- كتاب (دراسة في طبيعة المجتمع العراقي) - ص ١٩٢
د. علي الوردي - مطبعة العاني - بغداد - ١٩٦٥

في ٢٠١٩م يظهر فيه شاب استرالي يحمل بندقية ويدخل مسجداً للمسلمين في نيوزلاند وهو يصوّر اداءه بالطريقة نفسها التي يشاهدها في العاب الفديو ، حيث ينال من اعدائه الذين استقى معتقداته تجاههم من الإنترنت ، وصنع لنفسه هدفاً حثّته بعض الإتصالات في العالم الإفتراضي على تبنّيها كأفكار مقبولة ، دفعته لممارسة ذلك الدور الإرهابي الدموي الخطير ..

اللهو والفائدة .. من يتفوق في العالم الإفتراضي ؟

ان البحث عن اللهو والمتعة واحترافها مهنة لمجرد التمتع وقضاء الوقت هو باعتقاد بعض المتابعين نابع عن تأزم نفسي ، فقد لوحظان شباناً يضحكون ويقهقهون وهم يشاهدون احد الفديوهات التي لا تقدّم اكثر من مقالب كوميدية ضاحكة غير هادفة

وليســـــــت ذات معنى ولا مغزى ولا تنطوي على حكمة لكنهم كانوا يقـصدون البحـث عنها خلال ساعات تواجدهم أمام الشاشة ..

ان غياب الشعور بالمسؤولية وغياب التوجيه مع ما توفره اجواء العالم الإفتراضي من تســـــــــهيلات واغراءات وجاذبـــية تعطينا نماذج بشـــرية تعيش نسباً منخفضة من الإنســانية ، ما يجعلها اقـرب الى الكتلة البشـرية منها الى الإنســان ، وبـالتالي قـــد يصبح هذا الشخص بـمرور الوقـت روبـوتاً بشـرياً، ويبـلغ حـجم الخسـارة من الكبـــر عندما نقـــارنه بروبوت آلي اكثر انتظاماً وذكاءً ودقة برمجة ..

ان المخاوف من إيجابـية المساحـــة الواســعة في العالم الإفتراضي تقـــع على الصغار والمراهقـــين الذين لا يزالون لم يتعرفوا جيداً الى الفارق بـــين الحقيقـــة والكذب المنمق ، وفي العالم الإفتراضي

مساحة كبيرة لعرض الكثير من الثرثرة والكثير من الأقوال والكثير من الإفادات ، منها الملفقة ومنها ما يحـــمل مواصفات تخفى على الصغار لمحـــدودية تجاربهم وقـلة معارفهم .. كما يخشـى على الكبـار من المســـــــتخدمين العفويين للعالم الإفتراضي وقوعهم في مطب الفديو المفبرك الذي ينقل حدثاً تاريخياً أو خبـراً متعلقـاً بإعتقـاد أو ثقـــافة أو إرث أجتماعي أو ثقافي حيث تتمكن التقنية المتطورة من تزييف الأحداث والحقـائق لأغراض شـتّى كما في تقـــنية التزييف العميق التي تنتج فديو مزيف عن شـخصية حقيقـية تصل درجة اتقـان التزييف حداً يصعب معه كشفه لأن التقنية تقوم على جمع صور حقيقية للشخصية ومقاطع صوتية له ومقاطع فديو حقيقية ويتم اخضاعها جميعاً الى تلك التقنية التي تمكنهم من تحـميل ذلك الشـخص قـــولاً لم يقله في الحقيقية ..

هل تسهم السياسة في ادارة العالم الإفتراضي ؟

ان الظروف الصعبة المعقدة التي تشهدها بلداننا العربية عموماً من مشاكل إجتماعية وسياسية واقتصادية وأمنية وغياب الحضور الحي للرقابة الإيجابية والقدوة الصالحة والقيادة الواعية والإدارة المسؤولة ، واصابة الكيان الأسري لدى كثيرين بفيروس الإنعزال، والأفراد الباحثين عن انفسهم مع حالة اللااستقرار التي تنتاب المجتمع بانتقاله من تقنية التلفاز والبث الرسمي المحدد بأوقات بث معينة ، الى مئات القنوات الفضائية المفتوحة المنوعة طيلة ٢٤ ساعة وانواع الأقمار الفضائية ، ومن الهاتف العمومي والمنزلي الى الهاتف النقّال ، ومن افلام الكارتون المعدودة الى افلام الإثارة والرعب والعاب التسلية والمغامرات وفنون القتال

والعاب البث الحي المباشر ..

هذه المتغيرات عرّضت شـــــخصيات كثيرين من قـليلي الوعي ومن محـــدودي التعلم الى اضطراب جعلها تتأرجح بين مواجهة تردّي الحال المفروض على المجتمع ومحـــاولات مداواته حـــــفاظاً على الهوية الحقيقـــــية ، وبـــــــين الإنجذاب الى العالم الإفتراضي الذي يوفّر أجواء مريحـة تبـــعدهم عن صخب واقـــــــــــــعهم وان كانت اجواء ذلك العالم الإفتراضي تشـعرهم بإحـــتمالية ظهور شـــخصية مزيفة تظهر معالمها كلما ازدادت اوقـــات التواجد أمام شاشاته ..

ان معايشة واقـع الحـياة اليومية بـما فيها من آلام ومرارة وظروف صعبـة وظلم وفقـر ، من شـأنها ان تحرّك همم الناس نحو التغيير وإصلاح الحـال ، أمّا معايشة كل هذا من خلال العالم الإفتراضي فقـد لا

تنتج أكثر من التعاطف والرفض اللفظي والإستنكار ، بينما يبقى الواقع على ما هو عليه ، وهذا مؤشر مقلق للإنسانية..

ان مجتمعنا العراقي لا يزال يحتفظ بكثير من القيم والأخلاق والإلتزامات الأدبية الإجتماعية التي نشأ عليها ، لكنّ هذا الحسّ الأخلاقي النابض لا يعدّ رصيداً كافياً للإطمئنان على سلامة حياة الأجيال القادمة مع وجود العالم الإفتراضي . ومع ان كثيراً من المجتمعات مرّت بإضطرابات متنوعة من خطيرة الى أزمة الى كارثة ، يبقى الأمر الأهم هو تحقيق المعالجة .. ان ما حدث في العراق وبعض بلدان المنطقة ،كان عبارة عن هزّات ، هي بالعمق من الخطورة على تكوين وبنية الشخصية واتزانها وصولاً الى اكتشاف الذات المنتجة ، فقد مرّت سنوات عجاف ، كان أعنفها أعوام داعش التي

انقـضت ، لكنها تركت آثاراً لم تعالج لحـدّ الآن .. اذ ان كل ما حـــدث هو مواجهة داعش المســـــلح واقـصاؤه عن المدن كما أفادت بـعض التحـليلات والمتابــعات في العراق ، أما مواجهة داعش الأفكار والهواجس والشـيطان ، فما تزال غير متّضحـــة أو بيّنة ، وهو ما قـد يترك آثاره السلبـية على طريقـة تفكير الذين عاشـوا تحـت هيمنة داعش أو الذين عايشوا تلك الأحـداث .. ومن تلك الآثار السلبـية ان تراجعت في نفوس وعقـــــــول كثيرين ، الصورة المشرقة للآية الكريمة (من أحيا نفساً فكأنما أحـيا الناس جميعاً)، اذ صار العنف والغضب والقســـــوة وســـرعة الإنفعال في صدارة ردود أفعال بـــعض الناس. نقـلت وسـائل إعلام عراقـية : ان أبـاً ضرب ابـنته ضربـاً مبرّحـاً قـادها الى الموت ، لأنها أثارت توتره لبطء استجابتها تعلم كتابـة حـروف القـراءة

وهي حـــديثة عهد بالمدرســـــة ، في الصف الأول الإبتدائي ..

طفل صغير توفيت أمّـه ، وجد مربـوطاً الى شـجرة في حضيرة الحـيوانات بـعد ان تزوج ابـوه بـأخرى وانشغل عنه ..!!

رجل لكمَ زوجته على عينها فذهب ببـــــــــصرها لإنزعاجه من حديث ذاكرته به ..!!

ونقـــلت احـــدى وســـائل الإعلام إعترافاً لأحـــد الإرهابيين وقد ذبح قرابـة المئة شـخص واغتصب اكثر من مئتي إمرأة دون ان تبـــدو عليه علامات الندم أو الشـعور بـالخزي . بـدا وكأنه يتحـدّث عن ظروف اعتيادية مرّت في حياته ..

نناقـــلت وســـائل التواصل الإجتماعي فديو لمعلم مصري في روضـة للأطفـال وهـو يضـرب الصغـار بـــعنف.. فديو آخر ظهرت فيه مربـــية أولاد في

حـــضانة وهي تضرب طفلة صغيرة لا تريد ان تكفّ عن البكاء ..

اذا اخذنا بـــــنظر الإعتبـــــار ما ذكرته احـــــدى الإحصائيات من ان حوالي ٥٠٪ من مبيعات العاب الفديو هي العاب عنف وقتال ، فإن إنعكاسـات ذلك خطيرة على انماط التفكير والنظرة الى الحـــياة ، ولعل ذلك يتضح في طرح احـدى دور الأزياء عرضاً لطلبـة الجامعات بمناسبـة حـــفلات التخرج ، زيّاً يشتمل على ملابس وديكورات تحاكي الهيأة التي ظهرت به جماعات داعش الإرهابية..

ان إختراقاً خفياً يحدث لمنظومة الذوق والأخلاق والحـــسّ والجمال في بـــعض الأشـــخاص ممّن يرتضون مثل هذه العروض أو يتقبـــلون مثل هذه الطروحات ..

لا شـك في ان منظومة الدولة بشـكل عام تتحـمل

الجزء الأكبر من مسؤولية تدهور حال المجتمع ، فمثلما حجبت الحكومة مواقع التواصل الإجتماعي الفيسبوك وقطعت خدمة الإنترنت في عموم البلاد خلال تظاهرات البصرة في ٢٠١٨م ، ومن بعدها تظاهرات تشرين في بغداد ومحافظات الجنوب في ٢٠١٩م ، كان بمقدورها تقنين الإتصال بالعالم الإفتراضي بما يخدم بناء شخصية المواطن بناءً إيجابياً والمحافظة على سلامة النسيج الإجتماعي من الأذى الذي لحق به جرّاء غياب الحسّ المسؤول في السلطة وتقزمها من راعية مجتمع على وفق مفهوم الحديث النبوي (كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته)..

بين الروبوت والإنسان

كانت دمى الأطفال الجامدة تنمّي عند الفتاة روح الإهتمام والعطف على الصغير ورعايته ، وكانت تتحدث اليها وتتفاعل معها بحيث أسهمت هذه اللعبة الجامدة في تحريك فضاء وخيال البنت الصغيرة .. وكانت اللعبة المتحركة تنمّي عند الأطفال أجواء مرنة من التفكير كمحاولة استكشاف الكيفية التي تتحرك بها تلك اللعبة ..

سأل طفل والده عن لعبته : كيف تمشي هذه السيارة ، فأجابه بالبطارية .. عاود الطفل سؤال أبيه، اذا كانت البطارية هي سبب تحرّك السيارة ، فلماذا لا تتحرّك الساعة مثل حركة السيارة ، وفيها بطارية أيضاً ..؟!

في العالم الإفتراضي يجلس الطفل ساعات مع احدى العاب الفديو المنتجة بحرفية وجمالية

متقـــنة، لكن المشـــكلة ان كثير من الأطفال لم يعودوا يســـألوا آبـــاءهم تلك الأســـئلة التي كانت تشـــغلهم وهم يتفحّصون الألعاب بـــين أيديهم ويشغّلونها ويلعبـون بـها ، على الرغم من ان العاب الفديو تنطوي على كثير من الإســـتفهامات التي يفترض ان تدور في فضـاء تفكيـر الأطفـال ، لكـن لماذا لم يحدث ذلك بشكل واضح ؟!

ان انشـغال الطفل في ان يحقـق الفوز في اللعبـــة ويصل درجة الزهو بالنجاح فيها شـغله عن التفكير في تفاصيلها. ذكرت دراســـــــة ان العاب الفديو تستهوي مختلف الأعمار ، فهي لا تقـف عند سـن الطفولة أو المراهقة ، اذ تبيّن ان شبّاناً في الثلاثين من العمر يمارســـــــون مثل هذه الألعاب ليس لصبـــيانية هؤلاء الشبـــاب ، بـــل للتطور المذهل لتقنيات اللعبة ، وهناك آباء يشـتركون مع أبـنائهم

في اللعبـــة ، هناك العاب الهواتف النقـــالة الفردية والمشتركة بواسطة الإتصال بالإنترنت وبدونه فقـد تسببت لعبة (البوبـجي) بقـلق وتذمر عوائل كثيرة بسبب المشاكل التي الحقها التواصل المباشر بـين اللاعبين عبر النت ..

كانت العاب المطاردة والقتال من اكثر العاب الفديو اهتماماً من مختلف الأعمار لما توفّره من خيـارات تقمّص الشخصية الإفتراضية ومواصفاتها وتزويدها بمصادر الطاقة والقوّة وكيفية تطويرها بمرور الوقت في اللعبـــة ، والحـــرص على عدم فقـــدها داخل تأثيرات الفديو ، كي لا تنتهي اللعبـــة بـــموت تلك الشخصية الإفتراضية ، كما توفّر له استئناف اللعب من حـيث مات البـطل والى ما يشـــاء اللاعب من المرّات ، فهي تشـــده اليها دائماً وفي كل وقـــت .. وهناك العاب توفر مستويات عديدة تبدأ بالبسيطة

ثم تتدرج ، فكلما نجح اللاعب في اجتياز مستوى ، انتقل الى مستوى اصعب ، وهكذا يستمر اللاعب متقمصاً الشخصية الإفتراضية متحدّياً مستويات اللعبة بدرجات صعوباتها وخطورتها غير مكترث وربّما غير مدرك للوقت الذي يستنزفه من عالمه الحقيقي ، يضاف الى ذلك ما توفره الجهات المنتجة من مواصفات لتلك الألعاب وخيارات وقدرات يستطيع اللاعب ان يوفّرها في شخصيته الإفتراضية مقابل مبالغ مالية يدفعها للشركة المنتجة لتزوّده بها في اللعبة وقد يصل المبلغ احياناً الى مئات الدولارات ، أو آلاف الدولارات كما حصل مع أحد المنغمسين في اللعبة إذ بلغ مجموع ما انفقه حوالي ٣٠ الف دولار للتمتع بمزايا وإكسسوارات والوان الملابس والأسلحة والسيارات وانواع الحركات وغيرها وتكون عادة غير متوافرة

لبقـــية اللاعبـــين الاعتياديين، فكلما دفع المال اختصر الوقـت والجهد الذي ينبـغي له ان يقـضيه ليحـصل على تلك المزايا ، بـعض اولئك اللاعبـــين ينفقون الأموال لغرض التسلية فقط إذ ان احـدهم لم يكن معنياً بـــلفت انظار الآخرين اليه فهو يلعب دون ان يظهر هويته الحقيقـية ، بـــينما كان لفت انتباه الآخرين هدف لاعب آخر ..

كان أحـــد الأطفال يتحـــدث الى والده بشـــغف وحماسـة عن بـــطولاته في احـــدى العاب الفديو وكيف انه قـتل اللصوص والطرق التي اســـتخدمها للإنتصار على عدوه في اللعبـة .. ذات يوم ، وبـينما الطفل في الشارع يلعب مع اصدقائه ، دفعه أحدهم فسقط أرضاً ، كان والده يراقب المشـهد عن بـعد ، واذا بـطفله البـطل في لعبـة الفديو قـــد اخفق في عالمه الحقيقـــي في اتخاذ رد فعل مناســـب لدفع

زميله له .. حين عاد الطفل الى البيت اخذ يتحدث بحماسة ولهفة عن رغبته في ضرب ذلك الشرير الذي اسقطه ارضاً وراح يتوعده ويتمنى ان يظفر به، لكنه لم يفعل له شيئاً حين التقاه مجدداً .. سأله ابوه لماذا لم تفعل له شيئاً مما قلت .. ألست بطلاً في العاب الفديو .. الم تنتصر على اعدائك الإفتراضيين .. ما بالك لم ترد على خصمك في الشارع .. لم يجب الطفل ، لكن الأب اكتشف ان ابنه لم يعتد استعمال يده ورجله في الواقع وانه كان يؤدي دور البطولة بواسطة لاعب افتراضي ، فقد كان يجيد تحريك يده ورجله عبر ازرار جهاز التحكم ، وكان يجتاز به مستويات اللعبة ويفوز بالنزالات ، لكنه لم يحسن تحريك يده ورجله في الواقع حين واجه خصماً له ..

في حال لم يعالج الأب مشكلة ابنه ، فإن الطفل

سيفضل التواصل مع الآخرين عبر شاشات العالم الإفتراضي لأنه يشعر بالزهو ، بينما عاش شعور الخيبة في الواقع .. والنتيجة ان ضعفاً أو تأخراً في نمو شخصية الطفل سيترتب على ذلك ..

على عكس بعض الفديوهات والبرامج التي تقدّم تجارب يستفيدها المستخدم في عالمه الحقيقي كتلك التي تعلّم الأولاد كيف يدافعون عن انفسهم ، وكيف يتصرفون اذا تعرضوا لمواقف معينة ، وقد جرّبتُ ذلك على بعض الأولاد ، فكانوا على قدر كبير من الإستفادة كما في بعض الفديوهات التي تعلم طرق الرسم وفنونه وصناعة الأشياء ..

العالم الإفتراضي والإدمان

(اظهرت دراسات عديدة أدلّة تشير الى انه يمكن اعتبار الإفراط في استعمال الإنترنت إدماناً سلوكياً شبيهاً بالمقامرة المرضية ، كذلك بالنسبة الى الإفراط في استعمال العناصر المرتبطة بالإنترنت مثل الألعاب ويتعين علينا هنا ان ننتبه الى نقطة مهمة وهي عدم ارتباط جميع الأنشطة التي تمارس على الإنترنت بممارسة الألعاب والعكس صحيح) (١) ..

كل شخص معرّض لضغوط متنوعة ، متباينة، مختلفة في الحياة اليومية في عالمه الحقيقي ما يدعوه للبحث عن وسيلة يشعر معها انه خارج تلك الضغوط ، فهو قد لا يقوى على مواجهتها وتجاوزها

١- كتاب (تغير العقل) - ص١٨٠ Mind change
تأليف سوزان كريتفيلد- ترجمة ايهاب عبد الرحيم علي
عالم المعرفة - الكويت - ٢٠١٧م

فيضطره ذلك الى البقاء تحت ضغطها وقتاً قد يطول مع استمرار ضعفه على مواجهتها ، الأمر الذي يرهقه ويتعب اعصابه ونفسيته ، لذا فهو يلجأ الى ما يشعره بنوع من الإرتياح ،كما في دخان السيكارة الذي يشعر بعضهم بالراحة وهو يستنشقه محتملاً مضاره ، بل ولعله يدمن السيكارة على علمه بعواقبها الخطيرة وان حوالي ستة ملايين شخص يموتون سنوياً بسبب التدخين ..

توصل باحثون في دراسة سايكولوجية الى ان إفراط ممارسة اللعب على العاب الفديو في الموبايل لا يكمن في جاذبية محتوى تلك الألعاب بقدر ما انها توفر فرصة للهروب من ضغوط حياة اولئك المدمنين أو المفرطين في اللعب ، ويقف وراء اعجاب بعضهم بلعبة دون غيرها اجواء تلك اللعبة ، التي بشكل أو بآخر تحاكي احتياجات

نفسية لدى المعجبين بها فنراهم يفضلونها على غيرها من الألعاب ..

الشخصية بين جاذبية العالم الإفتراضي وحتمية الواقع

لعل ضبابية الأجواء في كثير من العلاقات الإجتماعية في الوقت الراهن ، جعلت بعض الناس يتحركون من خلال تصرفاتهم من وراء مظاهر لا يسهل الكشف عن بواطنها ، فقلة الثقة ، وفقدان الأمان ، وشحّة الخير في النفوس وغلبة الأنا والمصلحة الشخصية على حساب الغير ، وحبّ الظهور والصعود على الأكتاف ، واستغلال الطيبين، دفعت كثيرين تجاه العالم الإفتراضي كمنفذ يوفر لهم وقت اطلاع أو تسلية أو معرفة لا يتعرضون فيه الى الصدمات التي تواجههم في الواقع ، كما ان اصحاب النوايا السيئة والمصالح السلبية وجدوا في

العالم الإفتراضي وسيلة يدخلون منها الى عالم الآخرين الحقيقي ليتسبّبوا في إزعاجهم وإضرارهم .. في العالم الإفتراضي يمكنك ان تتحدث الى من تشاء ، وتتنقل من مكان الى آخر ، وتختلط مع كثيرين وانت وحدك وفي مكانك مع فرص قليلة للتصادم وتحمّل المسؤولية ، وما الى ذلك مما يتطلبه العالم الحقيقي ، كما ان نمط الحياة اليومية الميّال الى المادية في كثير من تفاصيلها ، وضعف حضور البعد المعنوي في الممارسات والتعاملات التي وصلت الى عيادات الأطباء والمستشفيات ومكاتب المحامين والقضاة وقاعات المحاضرات في الجامعة و.. و.. والتي يفترض بها اماكن تنبض بالحس الوجداني والانسانية ..

يقول الدكتور علي الوردي (كان المفكرون القدماء

يعتقـدون ان الانسـان يكون في صفاته حسـناً أو قبيحاً حسـب نضوج عقـله وسـلامة تفكيره ، وهذا رأي اتضح خطأه أخيراً في ضوء البحـوث العلمية الحديثة . ان التفكير نفسه يخضع للعوامل النفسية والإجتماعية المحيطة به ..) (١)

عندما كان الواقع ضبابياً مأسـاوياً بسبـب سياسـة النظام قبـل ٢٠٠٣م ، كانت خدمات الانترنت والموبايل محجوبة ، وكانت ضغوط الحياة وفقـدان الأمل في المستقبـل قـد جعلت الناس يتطلعون ، أويبـذلون ما بوسـعهم للسـفر أو الهجرة الى مكان آخر ، فكان ان سجّلت الإحصائيات اكثر من اربـعة ملايين عراقـي خارج البـلاد ، أما بـعد عام ٢٠٠٣م حيث سقوط النظام بـدخول الإحـتلال الأمريكي،

١- كتاب دراسة في طبيعة المجتمع العراقي
الدكتور علي الوردي - بغداد - ١٩٦٥م

ودخول العالم الإفتراضي واتخاذ الحـــــياة اليومية ضغوطاً ومعاناة مختلفة تمارسها على الناس ، وجد كثيرون في العالم الإفتراضي مهربـــــاً ، حـــــيث يســـتطيع هناك ان يقـــول ما يريد بـــهوية مزيفة وشخصية وهمية ، بينما لا يتيح له واقعه ذلك ، فقد رأينا كيف تمكّن سوء الحـال واضطراب الأحـداث من مصادرة فاعلية التظاهرات في العراق ، فقـــــد أسهم العالم الإفتراضي بشـكل ملفت في إثارة روح التظاهـر والثـورة فـي نفـوس كثيريـن ، وكانـــت محـافظة البـصرة انموذجاً ، تلتها في العام ٢٠١٩م محافظة بغداد ومحافظات اخرى في الجنوب ..

(ان الهوية لا تتعلق فقط بوجود عقـل ناضج والذي يمكنك من فهم العالم ، لكنها تنطـوي أيضـاً علـى الخطوة الحاسمة التالية: رد الفعل الذي سـتظهره ، نتيجة لكيفية تفاعلك مع العالم ، في سياق محـدد

وفي وقت بعينه) (١) ..

الرعاية الأسرية بديلا عن الرقابة

ان وجود الأبـوين مع الأولاد وهم يمضون وقـتهم في العاب الفديو يمكنه أن يسهم في تحسـين أداء الطفل وتنمية معارفه وتوسيع مداركه من خلال ما يثيره الآباء من شروحـات وطروحـات وملاحـظات تجعل أولادهم يفكرون ويسـعون الى معرفة الحقيقـة ، فالأب أو الأم مصادر أمينة يشـعر معها الطفل بـالطمأنينة ، وهذا الشـعور يهييء نفسـيته لإستقبال الوعظ والنصيحة ، كما ان تحديد ساعات اللعب بـالمويال من الأمور المهمة لكي يتحاشـى الآباء وقوع أبنائهم في ادمان الشاشـة ، وهو ما يؤثر

١- كتاب (تغير العقل) - ص١٨٩ Mind change
تأليف سوزان كريتفيلد- ترجمة ايهاب عبد الرحيم علي
عالم المعرفة - الكويت - ٢٠١٧م

سلباً في نمو الشخصية وإكتشاف ملامح الهوية المستقلة ، فنحن على قدر المخاوف التي نعيشها بوجود العالم الإفتراضي ، نستطيع توظيفه لخدمة عالمنا الحقيقي وتوجيه تحركاتنا فيه بإيجابية وسلمية ووعي .. في العالم الإفتراضي كل ما تريد اذا كنت تعرف ماذا تريد..

أفادت دراسة ان الأطفال الأذكياء يستفيدون من ساعات اللعب عبر الشاشات الرقمية ، لأنهم يلتقطون كلمات ومواقف يطبّقونها في حياتهم العملية ، فأفلام الكارتون التي تتحدث العربية الفصحى تسهم في تصحيح السنة الصغار وتنشئتهم على النطق الصحيح خصوصاً الأذكياء منهم ، ويحاول الأطفال تقليد أبطالهم في أفلام الكارتون وبعض العاب الفديو ، فيحاولون تأدية حركاتهم ومهاراتهم الحركية في القتال..

(ان معظم الحكومات التي تحاول مراقبة وسائل الإعلام في بلدها لم تعد تمتلك سيطرة كاملة على ما يمكن لمواطنيها الوصول اليه ، ثم هناك الجانب المظلم لركوب الأمواج ، الفرص الأقل امتاعاً بكثير على سبيل المثال لمعرفة كيفية صنع عبوة ناسفة، وتحديد انجع وسيلة للانتحار أو وهو أمر لا يصدق ، العثور على افضل طريقة لطهو اللحم البشري ، بوسع أي شخص يعيش في أي مكان ان يصل الى مثل هذه المواقع) (١) ..

١- كتاب (تغير العقل) - ص١٢٨ Mind change
تأليف سوزان كريتفيلد- ترجمة ايهاب عبد الرحيم علي
عالم المعرفة - الكويت - ٢٠١٧م

العم جوجل Google

هكذا يحلو للبعض تسميته .. انه موقع جوجل Google محرك البحث الالكتروني الشهير ..

ان السهولة والوفرة في نتائج البحث التي يقدّمها هذا الموقع على الرغم من الإيجابية العالية فإنها تشكل معوقاً حقيقياً للذاكرة الحيّة للمستخدم ، إذ يعتمد كثيرون على موقع جوجل في استحصال أي معلومة عن أي شيء ، وحيث انه أمر متاح في أي وقت وأي مكان ، لم يعد ضرورياً تفعيل ذاكرة العقل لحفظ البيانات ، وهذا يعني ضعفاً في حضور الذاكرة عند الضرورة بدون الاتصال بالعم جوجل..

ان توافر الحقائق الأساسية في الذاكرة يعطي صاحبها القدرة الوافية على ادارة حوار مع طرف آخر ، كما يعطيه رصيداً معنوياً وهو يستدعي تلك

المعلومات دون الرجوع الى مصدر ، أو الإستعانة بهاتفه النقّال ، أو جهاز اللابتوب ، تكمن خطورة هذا الكم الهائل المتيسر من المعلومات التي يقدّمها الإنترنت ، على الأولاد الصغار الذين سيشبّون وهم لا يمتلكون الحدّ الأدنى من المعرفة والإحاطة بها ، وذاكرتهم لا تحتفظ بحقائق أساسية مثلما يتمتعون ببراعة في استخدام التقنية الرقمية ، لأنه بسهولة ، لا يجد ضرورة لحفظ المعلومات ما دام العالم الإفتراضي متاحاً وأجهزة الإتصال به متوافرة وسهلة الإستعمال ، والوقت مفتوح لا يحدّده ظرف معين ، وما عليه سوى كبس الزر ، كما ان لغة كثيرين منهم تدنّت ، فلم يعودوا يحسنون قواعد الكتابة ، وامتدّ هذا الجهل الى صفوف كثير من المتعلمين ، وحتى بعض المثقفين .. في أحد المجاميع على الواتس آب ،

نشـر احـد الكتّاب عنوناً لمحـــاضرة له عن المرأة ، فكتب يقول: (المرأة كاتبتاً وباحثتاً) !! واراد : (المرأة كاتبـــةً وباحـــثةً) ، فأي تفكير ينتجه هذا التخبط اللغوي ؟..

شـخص آخر نشـر خبـراً جاء فيه: (زار وفداً..) ولم يقل (زار وفدٌ) ، ومن الطريف ان علّق احـدهم على هذا الخطأ اللغوي بالقـول: يا سـادة لماذا تنصبـون الوفد ومكانه مرفوع ..!!

هكذا اقتحمت اصوات الكلمات قواعد كتابـتها ، في موقـع مثل الفيسبـوك نجد كثيراً من تلك الأخطاء الإملائية والقواعدية ، فأغلب مستخدمي الفيسبوك ليســوا معنيين بـــاللغة وقـــواعدها ، وأخذت هذه الأخطاء تشكل خطراً على سـلامة اللغة من حـيث شـيوعها دون نقـد وتصحـيح يطال مسـتوى الكم الهائل المطروح منها على صفحات التواصل وكثير

من المواقع ، فبدأ يأخذ قالب الخطأ الشائع الذي سيكون صواباً في اعراف اجيال قادمة ، يقول علم النفس عن التفكير (هو بمفهومه العام كل نشاط ذهني أو عقلي يختلف عن الإحساس والإدراك الحسّي أو يتجاوز الإثنين الى الأفكار المجرّدة ، وبمعناه الضيق والصارم هو كل سبيل أو مجرى من الأفكار تبعثه وتثيره مشكلة أو مسألة قيد الحل . مثلما انه يشير للنظر الى الأمور وتقليبها وتفحّصها بقصد التحقق من صحّتها أو ضبطها ، فالتفكير كناية عن سبيل أو توارد غير منتظم أحياناً من الأفكار والصور والذكريات والإنطباعات العالقة في الذهن) (١) ..

١- موسوعة علم النفس - اعداد د. اسعد رؤوف - ط١ مطابع الشروق - بيروت - ١٩٧٧

عندما يسترسل الأشخاص في تواصلاتهم البريدية والدردشة دون مراقبة سلامة مضمون النص من حيث اللغة والتعبير ، قد يصيب التفكير بالضعف ويحوّل الذاكرة الى رصيد ثانوي طالما ان النصوص المنشورة لا تحظى بالنقد البناء الذي ينتج عنه تقييم الشخصية واعطاء تصوّر عنها يتناسب مع انتاجاتها ، فعندما يعتاد بعضهم كتابة (حكومت) بالتاء الطويلة وليس (حكومة) .. و(انتي) بالياء بدلاً عن (انت) بالكسرة .. و (شكرن) بالنون بدلاً عن تنوين الفتح (شكراً).. و (انشاء الله) بدلاً عن (ان شاء الله) .. وغيرها .. سيمرّن شخصيته على الإتكالية وعدم تحمل المسؤولية ، ويظهر العجز الحقيقي في حال انقطع التيار الكهربائي أو توقفت خدمة الإنترنت ، وغير ذلك سيعرضه للتصريح بآراء أو أقوال دون مراجعة لحقائقها ، وقد ظهر بعض

هؤلاء عندما تسبب النشر في إثارة حساسية طرف آخر أو تضمن الإساءة التي لا يمكن السكوت عنها بحق طرف ما ، فكان يبرر اخطاءه بذرائع واهية تنم عن ضعف في جانب شخصيته المسؤولة عن العلاقة مع الذات ومع الآخر..

(ان سهولة البحث عن شيء ما على أحد محركات البحث لا تعمل فقط بالفعل على تحويل استراتيجيات الذاكرة فحسب بل وعمليات تفكيرنا ذاتها .. ومن الصعب الآن ان نعود بالذاكرة الى أيام البيئة الغنية بالأسئلة والفقيرة في الأجوبة التي عاشها الكثير منّا كطلاب وهو عالم كان يجب علينا فيه ان نتصفح الموسوعات الثقيلة والمرهقة أو التخطيط لرحلة تستغرق وقتاً طويلاً الى مكتبة للمراجع ، لم يكن أي شيء يأتي بسرعة أو بسهولة كان هناك كفاح شاق ومستمر للحصول على

المعلومات الدقيقة التي تحتاج اليها وكان عليك ان تركز على ما هو ضروري حقاً) (١)

ان توفير كل شيء لا يصنع عقلاً ولا شخصية بالمعنى الطبيعي. لا بد من العمل الشاقّ والبحث الجادّ وتكليف النفس فوق طاقتها أحياناً ، فعلم النفس كما يقول الباحث عباس البلداوي في كتابه (الشخصية بين النجاح والفشل) أنه يحترم اولئك الذين يكلّفون انفسهم فوق طاقتها لأنّهم يدلّلون على المحاولة والجهد .. قال أحد أطباء علم النفس اذا أردت ان تصنع من ابنك رجلاً ذا شخصية متوازنة منتجة ، فلا تحقق له اكثر من ٢٥٪ من رغباته..

١- كتاب (تغير العقل) - ص٢٣٢ Mind change
تأليف سوزان كريتفيلد- ترجمة ايهاب عبد الرحيم علي
عالم المعرفة - الكويت - ٢٠١٧م

اسهمت السهولة والتوافر عبـر الإنترنت في عزوف كثير من الطلبة عن القـراءة خارج مواد الدراسـة أو محاضرات الكلية ، وحتى عندما يُطلب اليهم إعداد البحـوث ، كانوا يعتمدون (النسـخ - لصق) عبـر الإنترنت ، فكانوا يضعون مفردة تدل على مضمـون البحث في احدى محركات البحـث على الإنترنت ، فتظهر لهم خلال وقت قصير نتائج غنية بـموضوع البحـث ، فينتقـون ما يريدون ، وقـد لا يحسـن بـعضهم حـتى الإنتقـاء فيقـصدون مكتب طبـاعة ويعطونه فقـط عنوان البحـث الذي طلبـه منهم الأستاذ ، ليتولّى المكتب اعداد البحث مقابل مبلغ من المال ..!!

هناك مشـكلة اخرى تواجه هذا النوع من أصحـاب الذاكرة الإتكالية وهو صعوبة التمييز بين الحقيقـة والضلال ، فهناك نصوص أتقـنت ربـما تعمّداً أو

مصادفة لتكون نسخة يصعب تمييزها عن الحقيقة وهنا يمكن ان تدخل الإشـــاعة المتقـــنة كخبـــر حقيقي..

يوفر الإنترنت مساحة كبيرة على السطح في العالم الإفتراضي ما يجعل الشـخص في العالم الحقيقـي شـــكلاً أكثر منه مضموناً ، لأن المضمون يحـــتاج الوصول الى أعماق النفس لإستكشـــاف هويتها ، وعليها يترتب النجاح في الحياة العملية من عدمه ، ويبدو ذلك من خلال الفارق بـين توفير مطلبـين فقـط من متطلبـات العيش وهما التغذية البـدنية والتكاثر ، وبـــين إضافة عوامل التغذية العقـــلية والنفسية اليها ..

قديماً كان معلّمونا ينصحوننا بكتابة الكلمة ونطقها أكثر من مرّة بشكلها اللغوي الصحيح ، كي ترسـخ في الذاكرة ، ثم يصار الى تحـديثها كل فترة كي لا

تندثر اذا ما تراكمت فوقـــــــها معلومات جديدة وكثيرة..

الباحث الصوتي

جاءت خدمة البحـــث الصوتي ضمن سلســـــلة التســـهيلات التي يقـــدّمها العالم الإفتراضي في إختصار الوقـــت وســـرعة الإنجاز ، هذا بالنسبـــــة للمتعلمين والباحـــثين ، لكنها قـــد تعوّق تنمية مهارات الفئات العمرية الصغيرة في تعلّم قـــواعد الكتابة ، فقد صار بـإمكان الطفل ان يخبـر موبـايله عبـر الإنترنت عن اســـم مسلســـل الكارتون الذي يريده ليظهر له دون ان يكتب اســـــــمه ثم تظهر مجموعة خيارات مصحوبة بصور ترشد الصغير الى ضالته .. ما يخشـــى من هذه الخدمة التقـــنية هو اســـتخدامها من ذوي النوايا الســـيئة ليعبـــثوا

بالتكوين العقلي والأخلاقي للأطفال في مراحلهم الأولى من خلال إقحام برامج الأطفال وافلام الكارتون بلقطات أو عبارات تترك أثرها السلبي على شخصية الطفل وتؤثر فيما بعد في اتجاه تفكيره وميوله النفسية والعاطفية ، فقد ظهرت ميول للعنف لدى بعض الصغار وهم يواجهون موقفاً معيناً في عالمهم الحقيقي قد لا يستوجب ذلك ..

الجنس الثالث ..
بين العالم الإفتراضي والعالم الحقيقي

ظهرت لدى بعض المستخدمين الرقميين ميول شاذة تجاه الآخر ، كما في المثلية ، وهي اقتران الشخص بنوع جنسه عبر علاقة تحمل عنوان الزواج ، وهي حالة غريبة ومرفوضة الى حدّ كبير في مجتمعنا العربي عموماً وكثير من المجتمعات

الأخرى في العالم ، مع ذلك سجّلت حالات هنا وهناك لشبّان اعلنوا ارتباطهم بآخرين من جنسهم الذكوري ، وشابات ارتبطن بأخريات ، والمثير هو نمطية إعلان هذا التوجه ، اذ بدا خالياً من أي شعور بالشذوذ أو الخجل من مجتمع لا تتقبل تقاليده واعرافه واخلاقه ودينه وفطرته هكذا سلوك، ويعزو بعضهم ذلك الى فاعلية حضور العالم الإفتراضي في واقع اولئك المثليين بينما يذهب أخرون الى وجود أسباب بيولوجية وراء ذلك تتعلق بالهرمونات .. وأياً كان السبب فالنتيجة هي تعرّض المجتمع الى صدمات تهزّ تكوينه ونسيجه المألوف الذي بشكل أو بآخر يرتبط بتراثه وتاريخه ومنظومته الأخلاقية الموروثة والمكتسبة ، وهو ما يهدّد بظهور حالات وان كانت محدودة حالياً إلا انها تهدّد الشخصية والهوية تهديداً تكوينياً

يعرضها للإنقلاب على نفسها ، وربما تقف دولٌ أو جهات أو منظمات دولية وراء هذه النتيجة ، فقد أعربت الخارجية العراقية في بدايات ٢٠٢٠م عن امتعاضها ورفضها تصريح السفارة البريطانية بخصوص المثليين والإهتمام بدعمهم معنوياً ومادياً في العالم وفي العراق..

بين الكتاب الورقي والكتاب الألكتروني

كيف سيبدو شكل الواقع عندما يختفي الكتاب الورقي من السوق ؟..

يوفر العالم الإفتراضي مزايا كثيرة تخصّ عالم الكتاب ، أهمّها امكانية الوصول السريع الذي يختصر الزمان والمكان الى أي عنوان في أي مجال ، والذي يتطلب في الواقع مشقّة بحث في

المكتبات العامة والخاصة ، ومكتبات الجامعات وما تستلزمه هذه المشقة من وقت لا يشترطه أو يفرضه العالم الإفتراضي ، كما ان العالم الإفتراضي يوفر المكان ، ففي الواقع ربّما يحتاج الباحث الى مكتبة صغيرة على اقل تقدير ليتمكن من التحرك في مجال البحث ، وصغر هذه المكتبة يقيّدها بعدد محدّد من الكتب تستوعبه رفوفها ، وهو ما تجاوزه العالم الإفتراضي بذاكرة الجهاز الذي يحمله الباحث كالموبايل أو الحاسوب ، فبواسطة شريحة صغيرة يمكنك ان تجمع اعداداً كبيرة من الكتب والمجلدات ، وهناك عامل ثالث وفّره العالم الإفتراضي هو مجانية وشيوع نشر الكتب الكترونياً. مواقع كثيرة تعلن عن مجانية تناول الكتب الإلكترونية المتنوعة في مجالاتها ، وهو ما لايمكن تحقّقه في الواقع بهذا الشكل من التسهيلات ..

لكي تحصل على كتاب عليك ان تدفع ثمنه ، وهذا العامل الإقتصادي مضافاً الى العاملين الآخرين اسهموا في توجّه القرّاء الى الكتاب الألكتروني وهجر الكتاب الورقي ، وهي على كونها مزايا جيدة يوفرها العالم الإفتراضي إلا ان المهم هو حصيلة اقتناء الكتاب الألكتروني وقراءته ..

قامت باحثة في العلوم التطبيقية في احدى جامعات اوسلو بدراسة حول القراءة الالكترونية (أسفرت عن فهم أدنى نتيجة للقيود المادية للنص التي يجبر القرّاء على التمرير صعوداً وهبوطاً ، وبالتالي تشويش قراءتهم نتيجة لعدم الإستقرار المكاني ، وهذا عامل مهم ، لأن وجود تمثيل مكاني ذهني جيد للتصميم المادي لنص يؤدي الى فهم المادة المقروءة بشكل افضل . ويكون من يفهمون جيداً مقارنة مع اولئك الذين يفهمون على

نحـو رديء افضل بـكثير في تذكر وتغيير الترتيب المكاني للمعلومات المتضمنة في النص ، وبـالتالي فقد تكون هناك صلة بين الشـكل المادي لما تقـرأ ومغزى فهمك له) (١) .

في تجربة على طلبة بعض المدارس تبين ان قراءة الكتاب المطبـوع تقــود الى فهم افضل للمادة من قـراءة الكتاب الرقـمي ، كما اظهر عدد كبــير من الأشخاص ميولهم الى الكتاب الورقي على حسـاب الكتاب الألكتروني لأن الأجواء النفســـــــية التي يوفّرها الكتاب الورقـــــي لا تتحـــــق مع الكتاب الألكتروني ، وان كانوا يســـــــــتخدمون الكتاب الألكتروني للمزايا التي يوفّرها العالـم الإفتراضـي ، التي جعلت سـوق الكتاب الألكتروني اكثر حـيوية

١- كتاب (تغير العقل) - ص٢٤٢ Mind change
تأليف سوزان كريتفيلد- ترجمة ايهاب عبد الرحيم علي
عالم المعرفة - الكويت - ٢٠١٧م

من سوق الكتاب الورقي..

ان وجود الكتاب الورقي في السوق والمكتبات الخاصة يوفر شعوراً بالإطمئنان والإتصال الملموس بعالم الفكر ، فاذا ما قارن احدنا بين مكتبة بيته وشريحة الكترونية تضم عدداً كبيراً من الكتب يفوق ماموجود على رفوف مكتبته الشخصية ، فإن المزايا المادية التي توفرها الشريحة الألكترونية لا تقارن بالمزايا المعنوية وجوّ الطمأنينة واستحضار اجواء القراءة والكتابة التي تتحقق بالقرب من الكتاب الورقي ..

في متابعة ميدانية لعدد من الطلبة الجامعيين تلقى بعضهم محاضراته عن طريق العالم الإفتراضي والبعض الآخر حضر فعلياً الى قاعة المحاضرات وتلقى نفس المادة التي تلقاها غيره الكترونياً ، تبين من خلال الدراسة ان الطالب الذي

حضر بشكل حقيقي الى قاعة المحاضرات كان اكثر احاطة وإلماماً بمادة المحاضرة من الطالب الذي دخل القاعة افتراضياً..

(كان للنمو البطيىء في بيع الكتب المطبوعة حتماً آثار في تجّار التجزئة . أغلقت متاجر الكتب المستقلة في المملكة المتحدة واحداً تلو الآخر ، فقد انخفضت اعدادها الآن لتبلغ ثلث ما كانت عليه في العام ٢٠٠٥م) (١)

للعالم الإفتراضي آثاره الجيدة في عروض الشاشات التي تعطي متابعيها إدراكاً بصرياً وتنمي مهاراته في التفكير البصري ، ولكن هل يستطيع المفرط في استخدام العالم الإفتراضي ان يدير أو يعالج الحالات والصور النفسية..

١- كتاب (تغير العقل) - ص٢٤٩ Mind change
تأليف سوزان كريتفيلد- ترجمة ايهاب عبد الرحيم علي
عالم المعرفة - الكويت - ٢٠١٧م

ان تفاوتاً واضحاً تركته المتابعة والدراسة في ان الأشخاص الرقميين يمكنهم معالجة الصور البصرية بقدر اكبر من مقدرتهم على التعامل مع الصور الحسّية أو النفسية كما هو الحال مع الذين يميلون الى العالم الحقيقي اكثر من ميلهم الى العالم الإفتراضي ..

قد يتسبب العالم الإفتراضي في تغيير وجهة نظر جيل الطلبة حول الدراسة من ضرورة تحتاجها الشخصية لإستكمال نموها ، الى ضرورة حياتية يمليها الروتين والحسابات المادية والإعتبارات الإجتماعية ..

يقول إريك شميت Schmidt رئيس مجلس ادارة جوجل Google (اشعر بالقلق من ان مستوى المقاطعة أي ذلك النوع من السرعة الساحقة للمعلومات .. يؤثر في الواقع في الإدراك فهو يؤثر

في التفكير الأعمق. وما زلت اعتقـــــد ان الجلوس وقـراءة كتاب هو أفضل وسـيلة لتعلم شـيء ما في الواقع واخشى اننا في سبيلنا الى ان نفقد ذلك) (١)

الوعي الإفتراضي

ان الفارق بـــين معنى الوعي كإنتبـــاه وهو حـــالة تتحقـق لدى كثير من الكائنات الحـــية بمقـــادير متفاوتة ، والوعي الذي نذهـب اليـه ، هـو التفكيـر العميق بموضوعة الإنتباه وهو ما يميّز الإنسـان عن غيره من الكائنات الحية ..

ان التفكير العميق يمكننا من ربـط الأحـداث التي وجهنا اليها الإنتباه بنتائج مستقبلية لاحقة تترتب على تلك الأحداث ..

١- كتاب (تغير العقل) - ص٤٢ Mind change
تأليف سوزان كريتفيلد- ترجمة ايهاب عبد الرحيم علي
عالم المعرفة - الكويت - ٢٠١٧م

في العالم الإفتراضي نستطيع الحصول على مقولة (الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نضير لك في الخلق) ولكن هل نستطيع بواسطة العالم الإفتراضي ان نعرف كيف نستخدمها في واقعنا ، واذا كنا نستطيع فهمها عملياً فمتى نعرف اننا نطبقها بشكل صحيح من مجرد احتفاظنا بها كشعار أو حكمة أو معلومة ..

ان الوعي يحوّل تلك المقولة والحكمة من معلومة في الذاكرة الى مبدأ عمل في الحياة ، فحين تقرأ على مسامع الذين يسيؤون الى غيرهم بدافع طائفي أو مصلحي أو عدواني أو مدفوع ، حكمة الإمام علي عليه السلام ، فإنه قد يفسّرها حسب رؤيته ، وقد يتوافق ذكرها مع ما موجود في ذاكرته، لكنه يفسّر الواقع على غير ما شاهده في العالم الإفتراضي أو قرأه في كتاب ..

هل يسهم العالم الإفتراضي في إصابة الواقع بأمراض الملل والتطرف والذوذ..؟

في عام ١٩٦٤م توقّع كاتب الخيال العلمي إيزاك اسيموف Asimov ان البشرية ستعاني من الملل وتوقع ان يكون للطب النفسي دور بالغ الأهمية في حدود العام ٢٠١٤م وقال (أما القلة المحظوظة ممن يمكنهم الإنخراط في عمل ابداعي من أي نوع فسيمثلون الصفوة الحقيقية للبشر حين انهم وحدهم سيقومون بأعمال اكثر من مجرد خدمة آلة ما) (١)

يرتبط العمل في العالم الحقيقي بالقدرة البدنية والعقلية ، أما في العالم الإفتراضي حيث العمل هو استخدام الشاشة وكبس الأزرار ، فإن شرط القدرة

١- كتاب (تغير العقل) - ص٢٧٤ Mind change
تأليف سوزان كريتفيلد- ترجمة ايهاب عبد الرحيم علي
عالم المعرفة - الكويت - ٢٠١٧م

البدنية لا يحتل من الأهمية ما هو عليه في الواقع ، وقـد وفّر العالم الإفتراضي فرصاً جيدة جداً لعدد لا بأس به من المعاقين الذين يمتلكون مهارات عابرة لقدرات أجسادهم وهو ما أسـهم بشـكل كبـير في ترميم الشـعور المتدني لاولئك المعاقـين كونهم عبىء على ذويهم ، وانهم لا يمتلكون قـدرة التأثير في مجتمعهم كما هو حال الأصحّاء بدنياً ..

في حادثة غريبـة ، أظهرت احـدى وسـائل الإعلام العراقية شابـة في العشـرين من عمرها ، متزوجة ، اقـدمت على قـتل زوجها الذي كان يعنّفها كثيراً ويضربها، والتقطت لنفسها صورة (سيلفي) بـجانب جثته ونشرتها في صفحتها على الفيسبوك ..

هل يضفي العالم الإفتراضي لوناً رقـــــــــمياً على مشاعرنا الحقيقية ... ؟

تقوم مشـاريع تقـنية الذكاء الإصطناعي على انتاج روبوت مشابه الى حدّ كبير طبيعة الإنسان ، فهناك الدمى الأنثى التي زودت بـــــــــآلية تتيح للرجل معاشرتها كزوجة افتراضية تمنحه بعض المتعة ، أو ربّما كل المتعة التي توفّرها له العلاقة الحقيقية ..

وهناك روبوت يرقص ويردّد كلمات ناعمة ، غير تلك الروبـوتات المخيفة المرعبـة التي تصوّرها بـــعض افلام الخيال العلمي ، تؤدي حـــــركات آلية تعطي للفارق بـين الواقـع والخيال بـعداً واسـعاً ، بـــينما تختصر ذلك التقنيات الحديثة اليوم..

ترى هل سيأتي اليوم الذي يحلّ فيه الروبوت الآلي مكان الإنسان الحالي ؟

وهل تسهم العلاقة بين الانسـان والآلة في تحـويل

الإنسان الى آلة بشرية ..؟

اذا كانت التقنيات الحديثة لا تزال تواجه صعوبات في انتاج روبوت قريب جداً من طبيعة البشر البايولوجية والنفسية ، فإن المشكلة الكبيرة التي يواجهها عالمنا الحقيقي اليوم هو التوجه القسري للناس لأن يصبحوا آلات أو كتل بشرية متحركة قد لا يتوافر فيها عامل الإحساس بالمشاعر والمسؤولية والتفكير والتدبير ، فالعصر الحالي تنطوي أيامه على كثير من الضغوط القسرية سياسياً واقتصادياً وأمنياً واجتماعياً وشخصياً ، تدفع بالكثيرين الى ان يتحوّلوا الى كتل بشرية معنية بتغذية ابدانها وتكاثر انواعها وتوظيف المشاعر والعقل لتلبية هاتين الحاجتين ..

في الوقت الذي نسعى فيه جاهدين الى صناعة وعي يمكّن الناس من قراءة ما بين السطور ورؤية

ما تنطوي عليه الأحـــــداث ، وما خلف الكواليس يصدمنا العالم الحقيقي بتشكيلة بشرية متأنسـنة ، اي تحـاول ان تبـدو انســانية في الوقــت الذي لا تشجع تصرفاتهم على إدراجهم ضمن السـولكيات الإنسانية ، حيث يعمل العقل الى جانب القـلب في انتاج سلوكيات لا تخلو من مشاعر وحكمة ..

لم يكن لحـــالات العنف الأســـري والمجتمعي حـــضوراً ملفتاً في حـــياة الأجيال السابقـــة ، ربّما لإفتقـار ذلك الزمن الى إعلام ووســائل تواصل كما هو الحال اليوم ، وربّما لإختلاف مفهوم ضرب الأب ابنه والمعلم تلميذه من هدف تربـوي تأديبـي الى تخريبي عدواني في كثير من الحالات اليوم ، فقـد يقدم رجل أو إمرأة على ضرب أطفال صغار لمجرد انهم لم يمتثلـوا لأمـره أو أخطـأوا فـي تنفيـذ مـا امروهم بـه . عرض فديو تناقـلته وســائل التواصل

الإجتماعي معلم روضة وهو يضرب الصغار بقسوة ، وفيلم آخر يصوّر خلسة - مربـية تعمل في إحـدى رياض الأطفال - وهي تضرب طفلـة رضيعـة لأنهـا كانت تبـكي باسـتمرار ولم تفلح في اسـكاتها بسلاسة ..

اننا اليوم بحاجة الى تحـديد الهوية التي نعمل على استكشـافها في انفسـنا ، ما هي مواصفاتها . ما هي متطلبـات حـصولنا على مكانة في المجتمع ثم ما هو شـكل وطبـيعة المجتمع الذي نريده اليوم لضمان حياتنا وحـياة ابـنائنا ومستقبـلهم في ظل وجود العالم الإفتراضي ، وما معنى الديمقـراطية وحـرية الرأي ، وما حـدودهما ؟ هل الإنسـان هو نفسه الكائن البشري ، ام هناك فارق بينهما ؟ ما هو شكل المستقبل الذي نفكر به ؟ ما نوع الحياة التي نريد ان نعيشها ؟ وكيف ينبغي ان نحقق ذلك ؟..

بين الخصوصية والشهرة

يبدأ مشوار الوعي بمعرفة الشخص نفسه ، وتأتي مرحلة الحفاظ على الخصوصية من الأهمية بمكان. تواجه الشخصية معاناة اكبر عندما يقف صاحبها على طريق الشهرة ، فقد كانت الخصوصية موضع احترام الآخرين ، وكانت محاولة اختراقها من قبل البعض موضع انتقاد ورفض حاد من قبل المجتمع . اثارت محاولة مقدّم برامج ، استفزاز ضيفته الفنانة بسؤاله عن وضعها المادي قبل ان تدخل عالم الشهرة ، أخبرته انها كانت من عائلة فقيرة الحال . دفعه الفضول ليسألها ماذا كانت تتناول عند الفطور ، فردته متأثرة بأنّ هذا شأن خاص ، ولتدارك الأمر قدّم المحاور اعتذاره ..

وفي مقابلة مع أحد الفنانين المعروفين ، سأله

مقدّم البرنامج سؤالاً يقع ضمن الخصوصية العائلية، فرفض الفنان ذلك الطرح ، ولما قال له مضيّفه : انت فنان مشهور وحياتك ملك جمهورك ؟ رده قائلاً : حياتي الخاصة ملكي انا ، وفني ملك للجمهور ..

في العالم الافتراضي لم تعد الخصوصية تحظى بالقدر الكبير من الإحترام والإهتمام الذي عليه في العالم الحقيقي ، اذ ان تحقيق التوازن بين الخصوصية والشهرة أمر صعب يحتاج مساحةوعي يتمتع بها صاحبها تمكّنه من الحفاظ على خصوصيته في اجواء شهرته ، وهو ما لا يتوافر لدى كثيرين ..

واذا كانت الخصوصية مرتبطة بمعرفة الشخص ذاته وشعوره بها ، فإن العالم الافتراضي يتيح لمستخدميه انتاج هويات تجارية وبمواصفات قد لا تطابق واقع حال الشخصية وهو ما قد يتسبب في

اختراق الخصوصية والتلاعب بـمضامينها وبـالتالي لا تعود خطأً أحمراً كما في السابق ، خصوصاً عندما تصبح الشهرة مصدراً لكسب المال بالنسبـة للذين لا يمتلكون مواهب ومؤهلات تمكّنهم من الشهرة ، هناك مثلاً سيدة تقوم يومياً بتصوير حياتها وحـياة عائلتها وبالتفاصيل الدقيقة ، المطبخ ونوع الأكلات وغرف النوم وطبائع الاولاد والتصوير الحي لمشاهد تنقـلاتهم وسـفرهم من بـلد الى آخر كي تحـظى بمشاهدات اكثر للفديوهات التي تنشـرها ، وهو ما يضمن حـــصولها على المال من الموقـــع الذي تشتغل عليه وتبث منه ، حـتى ان بـعضهم امتهن ذلك وصار يطلق على احـــدهم (يوتيوبـــر) لكثرة مشـاهدي الفديوهات التي يقـــدّمها والذين يصل اعدادهم الى ملايين ، كما حـصل مع فديو لعارضة ازياء امريكية تسـتعرض فيه مرحـلة حـملها الاول

من صديقها ، بلغت مشاهدات الفديو حوالي السبعين مليون مشاهدة .. وسجّلت الأعمال الفنية والرياضية والترفيهية اكبر اعداد مشاهدات في العالم..

استخدام الخصوصيات من اجل الحصول على الشهرة هل يؤثر في الذات الحقيقية ؟

وكيف هو شكل ذلك التأثير ؟

وهل ان دخول العالم الافتراضي بهوية لا تحمل معلومات مطابقة للشخصية الحقيقية ، يمكن ان يسهم لاحقاً في ظهور ازدواجية للذات في نفس الشخصية ؟

(طرحت فكرة (الذات الحقيقية) لأول مرة منذ فترة طويلة وبالتحديد في العام ١٩٥١م من قبل عالم النفس الامريكي المؤثر كارل روجز Rogers والمعروف على نطاق واسع بأنه أحد

الآباء المؤسسين للعلاج النفسي .. تستند نظريته عن الذات الحقيقية الى الخصائص الموجودة التي لا تحتاج بالضرورة مناسبات تكون فيها واضحة ، وبدلاً من ذلك تصوّر على انها ردود افعال معينة في حالات افتراضية ، وبعد خمسين سنة شهد العصر الرقمي قيام جون بارغ Bargh وفريقه بوضع مفهوم ((الذات الحقيقية على الانترنت)) للاشارة الى ميل الفرد الى التعبير عن جوانب الذات ((الحقيقية)) من خلال الإتصال المجهول الهوية بالانترنت بدلاً من الإتصالات المباشرة وجهاً لوجه)(١)

١- كتاب (تغير العقل) - ص١٣٣ Mind change
تأليف سوزان كريتفيلد- ترجمة ايهاب عبد الرحيم علي
عالم المعرفة - الكويت - ٢٠١٧م

الشخصية في العالم الإفتراضي .. بين غياب التدبر وحضور الحواس

التفكير يجعل من الحواس المجردة وسائل ايضاح للصورة في الدماغ لاعطائها مفهوماً ومعنى يثير أو يثبط عزيمة النفس حسب آلية ادراكها ..

يرتبط الشعور القوي بالذات لدى الشخص الذي يستخدم عقله في التفكير والتدبّر والتأمل الذي هو في معناه السيكولوجي (توجيه الذهن صوب التجارب والمفاهيم والمدركات والأفكار والتركيز عليها بغية اكتشاف علاقات جديدة أو استخلاص نتائج يسترشد بها العقل في المستقبل. والتفكير التأملي يتقيد بمبادىء المنطق وقواعده ويعكف على تفحّص أسس المعتقدات والبحث في مقوماتها استناداً الى الأدلة والبراهين) (١)

١- موسوعة علم النفس - د. اسعد رؤوف ط١
مطابع الشروق - بيروت - ١٩٧٧

بينما يقلّ الشعور بالذات كلّما فكّر الشخص بحواسه المجرّدة بدلاً عن العقل .. وقد يكون الشخص واعياً بمعنى الإنتباه ، مع تعطيله لحركة التفكير في عقله ، ويترتب على ذلك ظهور المشاعر العاطفية وضمور الإدراك المعرفي ، وتتحدّد مساحة التصرف في حدود الوقت الذي يعيشه الشخص ، والمكان الذي يقع فيه الحدث ، بينما تتسع مساحة التصرف لدى اصحاب العقول لتشمل اكثر من زمن ومن حدث ومن مكان ، انه التفكير بالماضي والحاضر والمستقبل . لهذا يستغرب الذين يفكّرون بحواسّهم فقط ، حالة الهدوء والنَفَس الطويل لدى الأشخاص الذين يفكّرون بعقولهم ، وكثيرة هي الشواهد على التباين بين طريقتي التفكير .. فقد سجّل التاريخ حروباً طويلة وعداوات انتقلت من جيل الى آخر

بسبب تصرّف انفعالي وقتي ترتّبت عليه نتائج وقرارات أوقفت حركة الوعي في المجتمع واقصرته على فئة قليلة ، لا يسهم وجودها في المجتمع بالقدر الكافي لاحداث نهضة فيه ..

كلما كان الشخص قريباً من رغباته وحاجاته المادّية الحسّية المجرّدة كان اكثر ارتياحاً وشعوراً بالمتعة من اولئك الذين ينطلقون من الذات ويسخّرون حواسهم لخدمة عملية التفكير ، لأن الشعور بالإرتياح يمليه غياب الوعي بالذات على الشخص الذي يعيش مرحلته البشرية ويقف عند حدودها ، بينما يحتاج الإنتقال الى المرحلة الإنسانية إدراكاً ووعياً داخلياً يدفع بالشخص الى التفكير والإدراك وتسخير الحواس المجرّدة لهذا الغرض فترتسم امامه صورة واضحة المعنى للوجود، هي ذات معنى ضئيل وقد لا تكون ذات

معنى لدى اصحاب المرحلة البشرية فقط ..

مع ضعف الشعور بالذات وقـوة الجذب التي توفرها تقـــــنيات العالم الإفتراضي يكمن التهديد الذي يمكن ان يتعرّض له الأشـــخاص غير المدركين أو قـــليلي الإدراك ، إذ انهم ســـيفكّرون بحـــواسّهم المجرّدة فقط ولن يكون بوسعهم استخدامها لدعم التفكير بعقـولهم لحـاجة ذلك الى شـعور بـالذات ، ففي أوساط الأطفال والمراهقين وطلاب المدارس والشباب تكثر مشـاكل العالم الإفتراضي التي تضرّ بـــعالمهم الحقيقـــي ، فتركيز الإهتمام أو التفكير بالحـــواسّ المجرّدة فقـــط يجلب المتعة ويدفع الشـخص الى تحقيقـها في عالمه الحقيقـي ، فقـد ســـــجّلت حـــــوادث اجتماعية كثيرة في العالم الحقيقي ، وقفت فيها تقنيات العالم الإفتراضي مع ضعف الإدراك وقلّة الوعي لدى كثيرين ..

هل يمتلك الجيل الرقمي وعي النهضة ؟

يقف غياب التوازن وراء اغلب حالات التخوّف من العالم الإفتراضي ، وربّما ليس من السهل على كثيرين بلوغ حالة التوازن ، خصوصاً مع ضعف بيئة الواقع أمام بيئات العالم الإفتراضي الجذّابة ، فالجيل الرقمي في العالم الإفتراضي يحبّ ان يكون له طابعه الشخصي ، بينما لا توفّر له بيئته في عالمه الحقيقي اجواء البحث عن الذات . في العالم الإفتراضي يجد مجالات واسعة تأخذه الى ذلك ..

صار التعليم الكلاسيكي رهناً بإنقضاء العام الدراسي، بينما لا ينحصر التعليم في العالم الإفتراضي بفترة زمانية أو مكانية ، لذا لابدّ من تغيير طريقة التعليم من الوقتي المحدّد ببداية ونهاية العام الدراسي أو المرحلة الدراسية ، الى

تعليم مدى الحياة ، يشعر معه الطالب ان ما يحصل عليه هذا العام سيحتاجه في العام القادم وما بعده، لذا عليه ان يعدَّ في دماغه ذاكرة مرنة لحفظ المعلومات التي يتلقاها في المدرسة ، وان يواضب على تحديثها وإعادة استخدامها كل فترة كي لا يعرّضها للحذف والإرسال الى سلة النسيان كما هو الحال في سلة المهملات على الشاشة ، حيث تختفي المعلومة من مساحات الحفظ في الجهاز ..

في مؤسسات الدولة ينبغي تنمية وصناعة حسّ لدى الموظف يقوم على ارتباطه بالمسار الوظيفي الذي يعمل فيه ، وليس الإرتباط بإدارة المؤسسة أو الدائرة أو الوزارة ، وان لا يعدو السلّم الإداري الوظيفي أكثر منه خطوات لتسهيل انجاز العمل وليس ولاءات وتنازلات وقناعات وطاعات وغيرها.

مثلما يتيح العالم الإفتراضي وسائط عدّة لتحقيق

هدف ما ، فالتواصل لم يعد وقـــفاً على البـــــريد الألكتروني بل تعدّاه الى الفيسبوك وتويتر ويوتيوب وانســتغرام وســـكايب وغيرها ، وهو ما ينبـــغي ان نوفّره في العالم الحقيقـــــي ، أي اعطاء مفهوم الى الناس ان أي مشكلة لابـدّ وانّ لها أكثر من طريقـة حـل ، ليأتي الدور في انتفاء الحـلّ الذي لا تتعرّض معه الشـــخصية بمحـــتواها القـــيمي والمعنوي والنفســـــي والعلمي والإجتماعي الى أي خدش أو إساءة .

يجب تغيير مفهوم السلطة من التحكّم بالناس الى التحكّم لهم ، بمعنى الإرتقاء بـمفهوم المواطن من مجرد رقـم مهم لتمشـية الأمور وتحقـــيق اهداف السلطة في الإحتفاظ بالسلطة وبسـط نفوذها ، الى كون المواطن هدف السلطة ..

ينبـغي إعداد الأبـــناء على ان العالم الإفتراضي هو

مكان يستمدّ منه مقوّمات ومستلزمات بـناء الذات في العالم الحقيقـــي وليس عالماً يصنع منه جيلاً رقمياً مفروضاً على الواقع ..

يجب إعداد الأبـــــناء على ان وجودهم في العالم الافتراضي ليس هروباً من عالمهم الحقيقي بقدر ما هو ديمقراطية ابوية يمارسها الأب مع أولاده حين يسمح لهم بـالذهاب الى أي مكان يريدون لا يجد في الذهاب اليه ضرراً أو مشـقّة قـد تلحـق بـــهم ، والتجوال عبر صفحـات التواصل ومواقـع الانترنت بـــما يضمن لهم متعة نافعة ، وهذا هو دور الرعاية الرقابـي للحـفاظ على وحـــدة وتواصل الأســـرة ، لحمايتها من العزلة الجماعية حين يبـتعد كل فرد عن بقـــية عائلته المتواجدة معه في نفس المكان لمجرّد دخوله العالم الإفتراضي ..

يقـــول عالم المستقبـــليات ريتشـــارد واتســـون

Watson (اعتقد ان احد الأسباب الرئيسة للرواج الكبير لموقعي الفيسبوك وتويتر هو اننا نشعر بالوحدة.. تعني الإرتباطية العالمية اننا ننزع الى ان نكون بمفردنا حتى عندما نكون معاً) ..

على الرغم من كثرة المخاوف التي تنتاب كثيرين جرّاء المبالغة في استخدام العالم الإفتراضي ، إلا ان تلك التأثيرات لم تسجّل نمطاً معيناً محدّداً ، فقد تباينت تلك التأثيرات على أجيال من الأطفال والمراهقين والشباب والبالغين وحتى الكبار ، إلا ان الحالة العامّة تعطي مؤشرات مقلقة حول امكانية توازن الشخصية بين العالم الحقيقي والعالم الإفتراضي لكثير من تلك الفئات العمرية ..

قد لا يكون من الدقّة الربط بين عدد الساعات التي يقضيها شخص ما على الإنترنت وصفحات التواصل الإجتماعي وحالة شخصيته ومستواه العقلي

والنفســـــــي والمعرفي ، إذ وجد ان كثيرين ممن يشعرون بـتدنّي في الذات يشـتركون مع كثيرين ممن يعتدّون بأنفسهم بـخصوص سـاعات التواجد في العالم الإفتراضي ، كما ان كثير مـن المعقّديـن والإنطوائيين يستغرقون الوقت نفسه تقريبـاً الذي يستغرقـه غيرهم من الإنفتاحـيين والمستقـــرين نفسياً مثلاً ..

لعل طبيعة التعامل ونوع السلوك وطريقـة التواجد في العالم الإفتراضي ، يضاف اليهـا مـا يوفـره هـذا العالم من أجواء ، هي المواد التي تحـتاج دراسـتها لمعرفة من يتحكم بالآخر ..

دور الآباء في الحفاظ على شخصيات ابنائهم

هل ان تناغماً - سواء كان مقصوداً أم مصادفة - وقع بين العالم الإفتراضي بتقنياته الرقمية المتطورة والعالم الحقيقي المحكوم بفكرة القطب الواحد وما ترتّب عليها من أوضاع اقتصادية تصبّ في صالح الخزينة العالمية على حساب الوقت المستنزف من حياة الفرد وهو يكرّس جهده الأكبر لتحسين وضعه المعاشي منصرفاً عن ذاته والشعور بها وتنميتها ، بنسب متفاوتة حسب اختلاف المجتمعات والبيئات التي يعيشها الناس في بقاع الأرض ، هل يسهم هذا التناغم في دفع الآباء الى إعطاء (الجسم) لابنائهم بحكم الغريزة البشرية وتكريسهم الجهد والوقت من أجل نمو هذا الجسم ورعايته والحفاظ على صحته وسلامته وامنه

وتعليمه ، دون إعطائهم (الروح) التي تغذي ذلك الكيان المادي وتمنحه هويته وتسهم في تكوين شخصيته ، ليقوم العالم الإفتراضي بهذا الدور في منح جيل الأبناء ذاتاً رقمية ، يتحوّل بها المجتمع الى تجمعات يقتصر فيها دور الأسرة على المرحلة البشرية الغريزية المادية العاطفية ، يقوم فيها تكوين الأسرة على أساس غريزي وحاجة ضرورية مألوفة ، تغيب عنها روح وحدة الكيان في الأسرة الواحدة ويبقى اسم العائلة والعشيرة هو السمة المشتركة لأفراد الأسرة ، والإرث الذي ينقله الآباء لأبنائهم ، أما الطريق التي يسلكها الفرد بحثاً عن ذاته وبناء شخصيته فمتاح في العالم الإفتراضي بعد ان يفتقد الشخص وفرة الوقت للتدبر واختيار ما يناسبه من طريق يصل به الى ما يكمل بناء ذات غير منفصلة عن الماضي ولا تشعر بالغربة في

الحاضر ولا تستوحش المستقبل .. ولعل هناك من يعنى اليوم بتقصي نمو الاجيال الرقمية عبر العالم خدمة لمشروع القطب الواحد ليصبح للعالم قيادة واحدة ، لها في بقية الدول موظفون يديرون شؤونها وينفذون سياستها وإرادتها ، ويبدو ذلك من خلال السياق العام الذي تتبعه امريكا مع العالم والرافض لأي هلال يمكن ان يبزغ في سماء أي بلد على وجه الكرة الأرضية ، وما كثرة التوترات الحاصلة بينها وبين الصين وايران وروسيا إلا مؤشرات على ذلك ، فبعض المعنيين يصرّحون ان الإقتصاد الصيني ينمو بمعدل ٦٪ مقابل اقل من ٢٪ للإقتصاد الأمريكي ، وذهب بعضهم الى ان امريكا تفعل كل ما من شأنه إعاقة إزدهار اقتصاد بعض الدول مثل الصين وايران إزدهاراً يفرضها عالمياً ويجعلها فاعلة في صناعة القرار العالمي، وان

كانت صور تلك الإعاقة بشعة كالحرب المسلحة أو الحرب الإقتصادية أو الحرب البايولوجية أو الحرب الإعلاميةأو الإرهاب و.. و..

اسهم التسارع المعرفي الذي يوفره العالم الإفتراضي في صناعة فجوة أسرية بين الأبناء والآباء ، لا يمكن ردمها أو بناء جسر عليها ، لأن جاذبية التقنية الرقمية والأبعاد الثلاثية والألوان والأزرار والشاشات تفوق جاذبية الواقع من جهة ، ولا تترك في الآباء انطباعاً مروعاً منها على أبنائهم وان كان لدى بعض الأسر مخاوفها من فرط استخدامات ابنائهم للعالم الإفتراضي ، إلا ان هذه المخاوف يمكن مداواتها بتعليم الأبناء الموازنة والإعتدال في الوقت بين عالميهما الحقيقي والافتراضي ..

رافق الإختراع في مجال الصناعة والتقنيات

الرقـمية ، قـلق وخوف ، فعندما ظهر اختراع التلفاز لأول مرّة في مجتمعاتنا العربـية ، أبـدت الأســرة قلقـــها وتخوفها من ثنائية الصوت والصورة التي ينقلها الى داخل بيوتهم جهاز يمكن حمله يشتغل بالكهربـاء ، وجاءت هذه المخاوف من خشــية ربّ الأســـرة من ان تهدد تلك الثنائية ســـكينة جو التواصل الأسري وتقحمه بـمؤثرات تعكّر صفو ذلك الجو أو تلوثه ، لأنهم لا يعرفون حقيقـــة نفوس القـائمين على هذا الإختراع وما هي اهدافهم منه ، وهل تتوافق هذه الأهداف مع منظومة القـــيم والأخلاق والأعراف الإجتماعية ، وهل يســهم هذا الزائر الجديد في تحديث وتطوير هذه المنظومة أم سيعرّضها للأذى ..

ازداد القــلق عندما تطورت صناعة الشاشــة التي كانت تعمل ضمن اوقـات بــث محــدودة ، عندما

ظهرت اجيال جديدة : اقمار صناعية ومحطات متنوعة عديدة تعمل على مدار الساعة وشبكات انترنت واجهزة موبايل ، وأسهم تحسّن الوضع الإقتصادي لبعض الأسر في توفير أكثر من شاشة في البيت ، يقول عالم المستقبليات ريتشارد واطسون (لقد ظللنا دائماً نخترع أشياء جديدة ، وكنا نقلق دائماً بشأن الأشياء الجديدة ، كما ظللنا نشتكي دوماً من الأجيال الأصغر سنّاً ، من المؤكد ان معظم (ذلك) ما هو إلا تخمين معجون بخوف من التكنلوجيا في منتصف العمر ، اعتقد ان الجواب على هذا يختلف قليلاً هذه المرّة. يزداد انتشار (الشاشات) في كل مكان وقد اصبحت باعثة على الإدمان كما انها اصبحت مفروضة) (١)

١- كتاب (تغير العقل) - Mind change
تأليف سوزان كريتفيلد- ترجمة ايهاب عبد الرحيم علي
عالم المعرفة - الكويت - ٢٠١٧م

يقـول عالم الإجتماع الدكتور علي الوردي (واخيراً جاء التلفزيون - أو التلفاز كما احـــب ان اســـميه - فكان اعظمها تأثيراً اذ هو بمثابـة سـينما ومرقـص ومغنى يأتي الانسـان بـها الى بـيته فينشـــأ عليها الأطفال ذكوراً وإناثاً ، وســـيأتي يوم نطلق فيه على هؤلاء الأطفال حين يكبرون اسم جيل (التلفزيون) كمثل ما اطلقـــنا على الأطفال الذين ولدوا بـــعد الإحتلال البريطاني اسم (اولاد السقوط) .. ان ابـناء هذا الجيل ينشـأون على رؤية التلفاز في بـيوتهم ، حـيث يشـاهدون بـــه كل يوم فيلماً أو تمثيلية أو اغنية أو رقصة وهي كلها تهتف (الحـب .. الحـب .. الحب) فتنغرز اسـطورة الحـب في اعماق قلوبـهم وهم لا يكادون يبلغون الحلم حتى يبدأوا يحاولون تقليد ما شاهدوا في التلفاز من افانين العشق..) (١)

١- كتاب لمحات اجتماعية من تاريخ العراق المعاصر د. علي الوردي

التفكير الإفتراضي-

يخيّل اليَّ ان ترابـــطاً خفيّاً بـــــين تراجع العالم الحقيقي في نواحي الحـياة المختلفة وبـين تقـدّم العالم الإفتراضي في نواحي التقنية المتنوعة..

حالات الإسـتغراب التي يظهرها اغلبـنا إزاء تردّي المستوى الأخلاقـي والسـلوكيات وانماط التفكير عند بـعض الأشـخاص ، أو لنقـل ظهور سـلوكيات وانماط تفكير جديدة غير مألوفة لدينا دفعنا لوضع علامات اسـتفهام كبـــيرة أمام هذا الوضع الجديد والتراجع المخيف لمناعة الجسـم العقـــلية قبـــل البدنية ..

هذا الإستغراب ، وهذه الإستفهامات تأتي من تزايد اعداد الناس في احـصاءات ومتابـعات عبـر مواقـع التواصل الإجتماعي وعبر مبيعات شركات الأغذية والأدوية ومستحـضرات التجميل ومواد التنحـيف

وبـرامج الحـظ والأبـراج وأخبـار الأوبـئة والزلازل والسـيول والأعاصير والهزّات الأرضية وتقـارير الكشف عن صفقات الفساد ، واتساع مساحات الفقر في بلدان العالم العربي والإسـلامي خصوصاً والعالم عموماً حتى شملت حوالي ثمانية ملايين عراقـي ، وارتفاع معدلات البطالة الى ٧٠% بـين الشبـاب ، وارتفاع اعداد حـالات الطلاق لتصل الى اكثر من مئة الف حـالة في عام ٢٠١٨م ، وتزايد حـالات الإنتحار بـين الشبـاب في تدهور غير مسبـوق في شـخصية الفرد ، يقابـلها إقبـال كبـير من مختلف الفئات العمرية في البـلاد وخصوصاً الشبـاب على شاشـات العالم الإفتراضي بتقـنياته المتنوعة من موبايل وآي باد وآي فون ولابتوب وبـلي ستيشـن وغيرها ، ومتابعة ظهور اجيال متطورة منها . سألت بـعض الشبـاب لماذا يقـتني موبـايلاً حـديثاً غالي

الثمن ، اجاب اغلبهم انه امر مرتبط بالمظهر العام للشخص في المجتمع لأن كثيراً من الناس تنظر الى الشخص من خلال سيارته وموبايله فكلما كانت حديثة ترك لديهم انطباعاً ان هذا الشاب ميسور الحال وهذا يعني انه مثقف و (واصل) كما يقول الناس..

أسهم الحجم الكبير للصناعات التقنية ، مع امكانية استخدامها واقتنائها من قبل مساحة كبيرة من الناس ، وتركيز المجتمع على المظاهر في خضم تسارع الزمن الى الحدّ الذي يعدّ فيه نوع الموبايل وموديل السيارة وعدد الأصدقاء على الفيسبوك وعدد متابعي القنوات الشخصية ، من مزايا الشخصية ، ومن مفاتيح الكشف الآمن على الشخصية ، مما حدا بكثيرين الى الإهتمام بتقنيات الاتصالات حدّ اعتبارها هدفاً مهماً في

حياتهم ..

بـــمرور اغلب مجتمعات العالم العربـــي بأحـــداث سلبية القت بظلالها على مساحات كبيرة من الثقة كانت تملأ مفاصل حـــياة الناس اليومية ، وظهور صراعات وازمات ومشـاكل أثرت في حـركة الناس في المجتمع واصابت الأمان اصابات بـالغة تعذرت معها حـركة النقـل في اجواء امنية مقلقـــة يقـــف وراءها اشـــخاص وجماعات متعثرة تحـــمل أفكاراً سيئة لا تسعها ذاكرة الأجهزة الرقـمية المفتوحـة على العالم ، من كل هذا اصبـح التنقـل الإفتراضي بـــديلاً للأجواء الطبـــيعية التي فشـــلت انظمة وحـــكومات في جعلها آمنة مضمونة ، لذا التصق كثير من الناس بالعالم الإفتراضي خصوصاً الشباب والصغار ، لقد كشفت صفحات التواصل الإجتماعي عن حجم الفراغ النفسي الكبـير الذي يعيشـه عدد

غير قليل من المستخدمين ، ولم تسلم حتى طقوس العبادات من هذه السلوكيات ، ففي الوقت الذي كان فيه لوسائل الإتصال والتواصل دوراً إيجابياً لكثيرين ممن اشغلوا نفوسهم بما يصلحها ، كان لتلك التقنيات الرقمية دورها في إفساد النفوس الفارغة للمستخدمين الذين يعانون فراغاً نفسياً في حياتهم *

اذا كانت مجتمعاتنا تعاني منذ زمن بعيد إشكالية الماضي والحاضر والتراث والمعاصرة والقديم والجديد وغيرها من التسميات ، فإنها اليوم تمرّ بمعاناة مزدوجة بوجود العالم الإفتراضي ، وهو ما يجعل فرص المعافاة من تلك الإشكاليات تتقلّص دون ان تصل بمجتمعاتنا الى الآن حدّ الرقمنة ، إذ ما تزال فضاءات الفكر رحبة في عقول كثيرين من

* قول للإمام علي عليه السلام (النفس فارغة فاشغلها بما يصلحها وإلا شغلتك بما يفسدك)

كتاب وفلاسفة ومثقفين والمكتبة العربية لا تزال عامرة بمؤلفات يمكنها تحقيق نهضة اجتماعية انسانية واعية لو قُدّر لمجتمعاتنا ان تلتفت اليها .. ولعل الحاجة هي التي ستدفع المجتمعات العربية المسلمة الى الكتاب والتدبّر والتفكير ، مثلما دفعتها الحاجة الى التظاهر ضد الحاكم الجائر بعد ان سوّق وعاظ السلاطين حرمة ذلك حين - دعوا الناس الى الشكر ان وجدوا حاكمهم عادلاً والى الصبر ان وجدوه ظالماً - !!.. ثم أخفقوا في انتخاب ممثلين حقيقيين لتطلعاتهم بعدما سقط صنم السلطة ، واصبحت عبر صناديق الإقتراع ..

ان حالة الفوضى أو الشعور بالفشل أو الخيبة أو فقدان طعم الحياة أو الأمل في الشارع العربي الإسلامي ، مع صوت الذات وهي تصيح بالشباب تدفعهم لإكتشافها وانقاذها من الوأد الذي تتعرض

له في المجتمع الرقـــمي المضغوط سياســـياً واقتصادياً وأمنياً ، يمكن لهذا الصراع ان ينتج جيلاً ثائراً يمتلك مقـومات وعيه المرحـلي من اوجاعه وجوعه وجراح الذات فيه ، على الرغم من محاولات الخارج احتواء وتحـريك التظاهرات لصالح القـطب الواحـد في المجتمعات العربـية كما كُشـف عن تعاون مشترك امريكي اسرائيلي لمصادرة تظاهرات العراق ولبنان لصالحها ..

(ولا تحسـبّن الله غافلاً عمّا يعمل الظالمون..) (١١)

(ان الله بصير بالعبـاد) (١٢) (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) (١٣) ، بـوجود هذا البـعد الإيماني الروحي تستطيع الذات الموجوعة فينا ان تتحـمل حتى يمكن انقاذها .

يقول الفيلسوف فيليب هـ. فينكس (الروحـية هي الحـرية من أجل المعرفة ومن أجل خدمة المثل

العليا ولكن هذا هو بالضبـــــــط تعريف الأخلاق بالمعنى الواسع) (١) واذا اخذنا بنظر الإعتبار بعض التصريحـات هنا وهناك والتي تقــول ان القــطب الواحد يتخوف من الإسلام الحقيقي لما حقّقـه من إقامة دولة بوجود النبـي القـائد وصلت الى فرنسـا وهي لا تملك يوم قــيامها مقــوّمات تفوق ماكانت عليه امبـــــــراطورية الروم أو الفرس مثلاً ، لكنّها فاقـتهم واحـتوتهم بـروح الإسـلام الحقيقـي التي كانت في ذوات المســلمين آنذاك ، لذا عملت على طمســها واظهار أشــكالٍ أخرى للإســـلام منها السياسي والمتشدد والطائفي والإقـليمي والعرقـي والإرهابـي والشــكلي ، وهناك مشــروع الإســلام المدني الديمقـراطي الأمريكي يعدّ العمل عليه في بــلداننا .. لكي تغيب من ذاكرة الأجيال تلك الصور

١- كتاب فلسفة التربية - فيليب هــ. فينكس ص٤٦٢ - ١٩٦٥م
ترجمة د. محمد لبيب النجيحي - دار النهضة العربية - القاهرة

الناطقة لتاريخ الأمة وتخضع من قبل آخرين الى البحث والدراسة تحت أضواء الحداثة والعالم الإفتراضي والإتصال والتواصل مع العالم الواسع .. وهو ما زاد في ضبابية المشهد لدى جيل المراهقين والشباب إلا الذين اوتوا نصيباً من الرعاية الأسرية الواعية .. فمثلما كان الوعي حاضراً في قلوب ونفوس وعقول كثيرين امثال عدي بن حاتم الطائي يوم حطّ الدهر قدره ورحاله عند معاوية وأقام في الناس زماناً . هو حاضر اليوم في قلوب ونفوس وعقول من مرّت على وعيهم كلمات عدي بن حاتم وهو يصف زمان معاوية حين طلب منه ذلك فقال: (عدل زمانكم جور زمان مضى وجور زمانكم عدل زمان يأتي) ، فأنتبهت الذات فيهم الى ان الوعي يتطلب مراحل ثلاثة هي مرحلة التلقي ومرحلة الشعور ومرحلة التفكير ، بعدما

اخبرهم عيسى عليه السلام بأعظم وصية (احب الربَّ إلهك بكل قلبك وبكل نفسك وبكل عقلك) ، وجاءت بلاغة علي عليه السلام لتخبرهم ان الإيمان (إقرار بالقلب واعتراف باللسان وعمل بالأركان) ، ولكن يبقى هذا العدد من أصحاب الوعي قليلاً في زماننا هذا ، فلكي لا يصبح الجور عدلاً في أذهان الأجيال المعاصرة جرّاء هيمنة الجور على العدل زمناً طويلاً في فترة أو فترات ماضية ، فالآباء ملزمون بتأدية الأمانة كاملة لأبنائهم من خلال إعطائهم الجسم والروح معاً ، ليأتي العالم الإفتراضي أداة يستخدمونها ، وليس ذاتاً يستنسخونها ..

المصادر

- القرآن الكريم
- تغير العقل / سوزان كريتفليد / ترجمة ايهاب عبد الرحيم علي
- فلسفة التربية - فيليب هـ. فينكس/ ترجمة د. محمد لبيب النجيحي
- دراسة في طبيعة المجتمع العراقي – د. علي الوردي
- موسوعة علم النفس – د. أسعد رؤوف
- لمحات اجتماعية من تاريخ العراق المعاصر / د. علي الوردي
- مفاهيم في الفلسفة والاجتماع – احمد خورشيد الدوره جي
- علم الطباع /المدرسة الفرنسية – د. سامي الدروبي

المحتوى

- مقدمة ١
- تأثير العالم الافتراضي على العلاقات الاجتماعية ٤
- الهوية المزيفة ٥
- الجوانب الإيجابية ١٠
- الصديق الإفتراضي ١٢
- الحسد والبغض في العالم الافتراضي ١٣
- العلاقات الاجتماعية بين المباشر واللامباشر ١٦
- بين الانفصال في العالم الحقيقي والتواصل في العالم الافتراضي ٢٠
- هل تسهم العاب الفديو في تنمية الشخصية ٢٤
- اللهو والفائدة من يتفوق في العالم الافتراضي ٢٦
- هل تسهم السياسة في ادارة العالم الافتراضي ٢٩
- بين الروبوت والانسان ٣٦
- العالم الافتراضي والإدمان ٤٣
- الشخصية بين جاذبية العالم الافتراضي وحتمية الواقع ٤٥

- الرعاية الأسرية بديلاً عن الرقابة ٤٩
- العم جوجل ٥٢
- الباحث الصوتي ٦١
- الجنس الثالث ٦٢
- بين الكتاب الورقي والكتاب الالكتروني ٦٤
- الوعي الإفتراضي ٧١
- بين الخصوصية والشهرة ٧٩
- الشخصية في العالم الافتراضي ٨٤
بين غياب التدبر وحضور الحواس
- هل يمتلك الجيل الرقمي وعي النهضة ٨٨
- دور الآباء في الحفاظ على شخصيات ابنائهم ٩٤
- التفكير الإفتراضي ١٠١